صرخة عالم

محمد ونيس

صرخةُ عَالِم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطبعة الأولى
1444هـ
2023 م

اسم الكتاب: صرخةُ عَالِم
التأليف: محمد ونيس
موضوع الكتاب: إسلامي
عدد الصفحات: 164 صفحة
عدد الملازم: 10.25 ملازم
مقاس الكتاب: 14x20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: / 2023
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 86603 - -

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

دار البشير للثقافة والعلوم
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صرخةُ عَالِم

تأليف

محمد ونيس

دار البشير للثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله، نحمده سبحانه وتعالى ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خِيرَة خلقه وحبيبه.

أما بعدُ

تُشرق علينا شمس كل صباح، فنخوض في غِمَار الحياة..

يذهب أحدنا إلى عمله، فإذا بمديره يظلم زميله.. فيَجْبُن عن نُصرته!.

ينظر أحدنا إلى أخٍ له يظلم أخاه.. فيَجْبُن عن نُصرته!.

يرى أحدنا الحرب على دين الله..

فيَجْبُن عن نُصرة الدين!.

يرى أحدنا الحق يناديه..

فيَجْبُن عن نُصرة الحق!.

فلماذا الخذلان؟! هل تحتاج إلى جُرأةٍ في الحقِّ؟

هل تحتاج أن تستأصل جرثومة الجُبن؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من أجل هذا كان الكتاب «**صرخة عَالِم**».. جمعتُ فيه مواقف لأبطالٍ من علماء المسلمين.. صرخوا في وجه الباطَل.. نصروا الحق أينما كان..

فلعلنا نتشبه بهم..

فَتَشَبّهوا إِن لَم تَكُونوا مِثلَهُم إِنَّ التَّشَبّه بِالكِرام فَلاحُ

وأسأل الله بمنِّه وكرمه، أن ينفع كلَّ من قرأ هذا الكتاب، وأن يجعله حافزًا له على نُصرة الحق، وما كان فيه من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه برآء، وأسأل الله الغفور أن يغفر لي زلّاتي.

كتبه

محمد ونيس

الفيوم - الصالحية

«قولُ الحقيقة مُرٌّ مُؤلمٌ خطرٌ؛
لكِّن قائلها في عصرنا بطلُ».

(حذيفة العرجي)

الأذان والجَبَان

يُحكى أنَّ ديكًا كان يُؤذّنُ للفجر كلَّ يوم، فبصوت أذانه ينتبهُ الغافلون ويستيقظ النائمون، ويمتلئ المسجد بالمصلّين، فقال له صاحبه (صاحب المزرعة):

- أيها الدّيك، لا تُؤذن فصوتك يزعجني، وأذانك يقلقني، وإنْ لمْ تكفْ عن أذانك ذبحتُك، فانظر ماذا تريد؛ الذبح أم ترك الأذان؟.

فأطرق الدِّيك يفكر!.

وأخذ يردِّد في نفسه: «الذبح أم ترك الأذان؟.. إنْ رفعتُ الأذان ذبحني صاحبي، فأموت أنا ويموت الأذان!».

«ونسي مولانا الدّيك أنّه لو مات صادعًا بالحق سيحيا بموته آلاف الديوك يصدعون بالحق».

ظلّ الديك يفكر ويقول: «ينبغي أنْ أحافظَ على نفسي، والشرع قد رخّص لي، أليس الشرع قد رخّص للمُكْرَه أنْ ينطق بكلمة الكفر ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾. [النحل: ١٠٦].

ألمْ يقل النّبي لعمار عندما أكْرَهَته قريش على قول الكفر: « **يا عمارُ، إن عادوا فَعُدْ**».

وهل تركي للأذان كُفر؟ ألا ترى أنَّ الضرورات تبيح المحظورات؟!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأنَّ درء المفاسد مُقدَّم على جَلب المصالح؟!..وعلى كل حالٍ فغيري من الديوك كثير سيرفعون الأذان، وللأذان ربٌّ يحميه كما قال عبد المطلب: «للبيتِ ربٌّ يحميه»...».

فتوقف الديك عن رفع الأذان حِفاظًا على نفسه، وبزعمه حفاظًا على الأذان!.

«ونسي مولانا الديك أنَّ التنازل والتّخلي عن الحق يبدأ بخطوةٍ ثمّ تتبعها سلسلة التنازلات».

وبعد أيامٍ جاء صاحبُ الدّيك وقال له:

-أحسنتَ أيها الديك عندما توقفت عن الأذان، أنا أحب صوت الدجاجة وهي «تُقاقي»، أريدك أنْ «تُقاقي» كالدجاج، وإنْ لم «تُقاقِ» كالدجاج، ذبحتُك!

فقال الدّيك في نفسه: «لا بأس ببعض «القأقأةِ» حفاظًا على نفسي من الهلاك».

وبدأ الدّيكُ «يُقاقي»!

وبعد أيامٍ جاء صاحبُ الدّيك وقال له:

- أحسنتَ أيها الديك وأنت «تقاقي» كالدجاج، لم ينقصك عن الدجاج إلا أنْ تَبيض، فالآن إمّا أنْ تبيض كالدجاج أو ذبحتُك!.

عندها بكى الدّيكُ وقال: «يا ليتني مِتُّ وأنا أُؤذّنُ ولا عشتُ وأنا أحاولُ أنْ أبيض!».

فهل يستطيع الدّيك أنْ يبيض ويُرْضِي سيده؟

بالطبع، لا، إذن فمصيره الذبح.

فهل حافظ الدّيك على الأذان؟.. وهل نجا من الذبح؟

عزيزي القارئ، ماذا تريد؟ هل تريد أن تُؤذِّن أمْ تُقاقي؟

هل تريد نُصرة الحق أمْ نُصرة الباطل؟ هل تريد أنْ تكون مِن جند الشيطان أمْ تكون من جند الرحمن؟.

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جُند اللّه

هل أنتَ من جند الله؟

أظنُّك تُجيبني: بنعم.

فأنت لم تُمسك هذا الكتاب بين يديك إلا لحبِّك لله ورسوله.. أليس كذلك؟!

فإن كان الأمر كذلك.. فأنت في حربٍ ونزال..

حرب مع الباطل وأهله، فلابد أن تكون جنديًا قويًا..

فيا أيها الجندي، اعلم أن الجندي في أرض المعركة لابدَّ له من أمور:

١-السلاح.. فتسلَّح بسلاح العلم.

٢-الصبر.. فإن النصر صبر ساعة.

٣-المخاطرة.. فلن تكون جنديًا مالم تُخاطر.. بروحك ومالك وولدك.

٤-الجُرأة.. فلن تكون جنديًا مالم تكن جريئًا مقدامًا شجاعًا.

فهذه الأمور السابقة، لابد أن يتحلى بها من أراد أن يكون أسداً من أسود الحق، أو جندياً من جند الله.

***

صرخةٌ في وجه الباطل

أمير المؤمنين (أبو جعفر المنصور)، جعل (سوار بن عبدالله) قاضيًا على البصرة.. وقعت خصومةٌ على أرض بين قائدٍ وتاجرٍ..

عُرِضَت القضية على سوار القاضي ليحكم فيها.. أراد أبو جعفر أن تكونَ الأرض للقائد..

فكتب إلى سوار القاضي يقول:

(انظر الأرض التي تَخَاصَم فيها فُلان القائد وفلان التاجر.. فادفعها إلى القائد).

فكتب إليه سوار:

(إنَّ البَيِّنَة قد قامت عندي أنَّها للتاجر، فلستُ أعطيها لغيره إلا ببينة)

أبو جعفر:

- والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنَّها إلى القائد!.

سوار:

- والله الذي لا إله إلا هو، لا أخرجها من يد التاجر إلا بحقٍّ!.

أين تربى هؤلاء العلماء؟ أين تربى هؤلاء الجنود؟

وكيف عاشوا؟ وكيف ماتوا؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهل صرخاتهم في وجه الباطل منعتهم رزقًا؟ أو أنقصت لهم عمرًا؟ أو جلبت لهم شرًا؟ أو أنقصت لهم قدرًا؟

لماذا صرخ هؤلاء ضد الباطل بحناجر ملتهبةٍ وقلوبٍ مخلصة؟!

هل هؤلاء جند الله حقًا؟ وهل هذه صفاتهم؟!!

سنعرف كل هذا وأكثر في رحلتنا مع هذا الكتاب..

سنرى صرخاتٍ وصرخات.. من قلوب تعتصر ألمًا إذا رأت حقًا يضيع أو باطلًا ينتفخ، أوسنةً تندثر، أو بدعةً تنتشر..

رجال وضعوا أرواحهم على أَكُفِهم .. نُصرة للدين.

***

الحَجَّاج

أظنَّ أنَّ (الحجاج) غنيٌ عن التعريف به؛ لأنَّ الحجاج شخصيةٌ رسمت حروفها في سجل الظالمين.. وحفرت حروفها في قوائم الطغاة الجبارين.. ويكفي أن نذكر ما رواه الترمذي في سننه عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، قال:

«**أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ**».

وقال عمر بن عبد العزيز:

«لو تخابثت الأمم وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة».

جعله أمير المؤمنين (عبدالملك بن مروان) حاكمًا على العراق وخراسان، حاصر الكعبة.. ورماها بالمنجنيق.. أذلَّ أهل الحرمين..

قتل (ابن الزبير) الحاكم الشرعي، ومَثَّل بجثته!..

أخذ البيعة من الناس بحد السيف!..

هذا هو الحجاج!!

الذي وضع السيف على رقاب العباد، فكان حُكمه ظلمٌ وجور .. قتلٌ وسفكٌ للدماء..

ومن كثرة ظُلمه، وبطشه وطغيانه وجبروته.. ضجَّ الناس منه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلى الرغم من ظلم الحجاج وإرهابه وجبروته.. إلا أنَّه لم يستطع أن يُسكت صوت الحق..

فقد عاش في زمن كله رجال، لم يرتدوا لباس الخوف ولم يتجرعوا كأس الذُّل.. ولا يعرف الخُنوع إليهم سبيلًا..

تربوا على الصدع بالحق؛ بل ونصرته.. وإن بذلوا فيه كل غالٍ ونفيس.. فوقفوا في وجه الظلم والطغيان.. يُجابهون الظلم، ويكسرون شوكةً الطاغية.. فوقعت بين الحجاج وبين علماء زمانه معارك ونزال.. ومواقف كثيرة.. نذكر بعضها إن شاء الله.

***

الصلاة .. الصلاة

عبد الله بن عمر بن الخطاب.. وما أدراك ما ابن عمر!

الكل يعرف قوة عمر في الحقِّ والصدع به..

وعبد الله أشبه الناس بأبيه، فكان عبد الله جريئًا في الحق، قويًا فيه، لا يجامل في الحق ولا يداهن فيه..

أخي الكريم، تخيَّل معي .. أنك دخلت أحد المساجد لصلاة الجمعة .. جلست تستمع إلى الخطيب.. فظلَّ الخطيب يتكلم كثيرًا.. يأتي بكلامٍ من هنا وهناك.. كاد وقت الصلاة أن يخرج، فماذا أنت صانع؟

هذا الذي حدث مع ابن عمر في المسجد..

وقف الحجاج يومًا يخطب في الناس، فأطال الخطبة، وأخَّر الصلاة، حتى كاد وقت الصلاة أن يخرج، انتظره الناس أن ينزل من على المنبر.. لكنه ظل يتكلم..

فوقف ابن عمر وقال:

«الصلاة.. الصلاة!»

ثم أقام الصلاة، فوقف الناس للصلاة..

والحجاج على المنبر.. ينظر إليه ويتميز غيظًا، اضطر الحجاج إلى النزول.. ثم صلى بالناس؛ فلمَّا انصرف الناس، قال الحجاج لابن عمر:

- ما حملك على ذلك؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن عمر:

-إنَّما نجيء للصلاة.. فصلِ الصلاة لوقتها ثم تَفَتْق!

(التفتق كثرة الكلام).

واعجباه من خطيب إذا صعد المنبر.. كأنما دخل في حَلَبةِ مصارعة.. تارة يُبرز عضلاته اللغوية، وتارة يُمطر الناس بكلماته الفقهية.. وتارة يتقعر الكلام.. وتارة يُثرثر حتى تظنه لن يتوقف.. يصول ويجول ليثبت لك أنَّه أعلم أهل الأرض!.

يقول أحد المصلين: «صليتُ الجمعة مع أحد أصدقائي في أحد مساجد العاصمة (نواكشوط).. تكفل الإمام بنا من الثانية ظهرًا وحتى الثالثة والنصف تقريبًا.. لم تكن خطبة جمعة بل كانت مهرجانًا خطابيًا!..

أتحفنا فيه الإمام بمعظم ما سمع من قصص في السيرة، والبروج والحشر وفلسطين، والشيشان وأفغانستان، والعلاقات الزوجية، ووجوب طاعة ولي الأمر، ومصارف الزكاة، وكيفية صلاة الاستسقاء وقصة إسلام عمر.. و .. و .. و..

حتى نام معظم المصلين، واستنفد البعض رصيده من التثاؤب!

وترك البعض الحرية لبطنه لتقرقر.. لتذكير الإمام والمصلين بأنَّه لم يتناول غداءه بعد..

أفرغ الإمام بطاقة ذاكرته وأطلق سراحنا، بعد أن لاحظ تسلل بعض المصلين وقول البعض «آمين» بشكلٍ عفوي استمطارًا لنهاية الخطبة!.

أما عن النوع الآخر من الخطباء.. فأنت لا تدري .. أَصَعِدَ المنبر أم لا؟

يقول أحد المصلين: صعد الإمام المنبر وهو يحمل قصاصة ورق مجهرية لا تُستبان لصغر حجمها، وقف وقال:

«**اتقُوا الله أخير فيكم**».

ثم جلس ونهض قائلًا:

« **الجنة واسعةٌ والنار أوسع منها، غفر الله لي ولكم وأقم الصلاة**».

عزيزي، لعلك تحتار.. أيهما على صواب؟ من أطال الخطبة تطويلًا مملًا.. أم من قَصَّرها تقصيرًا مُخِلًا؟

اعلم يرحمك الله أنَّ الأصل في خطبة الجمعة أن تكون قصيرةً.. ليس قِصَراً مُخِلًا.. فهذا ما وردت به السُّنة.

قال النبي : «...**فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لسِحْرًا**». (رواه مسلم).

وفي الحديث:

«**كان رسول الله ﷺ لا يُطِيلُ المَوْعِظَةَ يوم الجُمُعةِ إنَّما هُنَّ كَلِماتٌ يَسِيراتٌ**». (رواه أبوداود).

وعامَّة الفقهاء على استِحباب ما جاءت به الأحاديث من إقصار الخطبة وعدم إطالتها..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتَّى قال القرافي رحمه الله تعالى:

«واتَّفق الجميع على استِحْسان قِصر الخطبة».

فإنَّ كان الأمر كذلك.. فهل يجوز للخطيب إطالة الخطبة؟

يجوز إطالة الخطبة لحاجة أو ضرورة؛ لأن النبي كان يُطيلها أحيانًا.. ولأنَّه قد ثبت أنَّ النبي -صلَّى الله عليه وسلم- كان يخطب أحيانًا بسورة (ق)، وهي سورةٌ طويلة.

لكن..

إذا اقتضت الحاجة للإطالة.. فلا تكن إطالة تَشُقُّ على الناس.

***

يا أفسق الفاسقين!

بين الكوفة والبصرة.. بنى الحجاج مدينة (واسط) .. تلك المدينة التي أغدق عليها الأموال.. حتى أتم بناءها..

بنى الحجاج فيها.. قصراً منيفًا.. فما أجمله من قصر، وما أروع بناءه، وما أحسن تصميمه!.

لقد أنفق الحجاج على بناء القصر الكثير والكثير من الأموال..

من أين أتى الحجاج بهذه الأموال؟ إنها من أموال المسلمين!

وهكذا يكون الحاكم الظالم في كل عصر ومصر..

يهدر أموال شعبه في الترف واللهو والبذخ، ولربما كان من شعبه.. من لا يجد قوت يومه، فما صنعه الحجاج .. يصنعه كل حاكمٍ ظالم.. في كل مكانٍ وزمان!.

أعْجِبَ الحجاج بقصره وروعته وجماله.. أمر أن يُنَادىٰ في الناس .. حتى يروا هذا القصر العظيم.. لتزداد هيبة الحجاج في نفوسهم .. وتَعْظُم مكانته عندهم.. وكأن الحجاج يقول للناس:

انظروا إلى الدنيا التي تحت أيدينا! انظروا إلى زخارفها.. وزينتها وبهرجها.. فما أجمل العيش والتمتع بها!.

اجتمع الناس حول القصر يطوفون به.. وقد انبهروا بجماله.. وإحكام بنائه.. وروعة تصميمه!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن كان الزمان لا يخلو من ظَلَمة وجبابرة.. كذلك لا يخلو من أبطال صادعين بالحق شجعان.. لا يهابون الموت نصرة للحق.. وعلى رأس هؤلاء الأبطال.. (الحسن البصري).

رأى الحسن البصري الناس يطوفون بالقصر معجبين به.. وتظهر الدنيا على قسمات ووجوههم .. فأراد أن يقلل الدنيا في أعينهم.. ويفضح الظالمين..

فوقف خطيبًا في وسط هذه الجموع قائلًا:

«الحمد لله !! إنَّ الملوك ليرون لأنفسهم عِزّا.. وإنَّا لنرى فيهم كل عِبَرا.. يَعْمد أحدهم إلى قصر فيشيده.. وإلى فراش فينجده.. فيقول: انظروا ما صنعت! فقد رأينا أيها المغرور! فكان ماذا يا أفسق الفاسقين؟!

أمَّا أهل السموات فقد مقتوك.. وأمَّا أهل الأرض فقد لعنوك!

عمَّرت دار الفناء.. وخرَّبْت دار البقاء»..

وظل الحسن في خطبته يفضح الحجاج .. ويُبَين ظُلمه وجبروته حتى أشفق الناس عليه وخافوا عليه من بطش الحجاج.. فقال الناس له:

«حسبك يا أبا سعيد!..حسبك يا أبا سعيد!»

فقال الحسن:

«إنَّ الله أخذ العهود والمواثيق على العلماء.. لَيُبَيننه للناس ولا يكتموه»..

علم الحجاج بما قاله الحسن على مرأى ومسمع من الناس.. فَتَلَمظ تلمُظ الحية.. وثارت الدماء في عروقه.. وانتفخت أوداجه.. وصار وجهه كأنه قطعةٌ من نار! ثم صاح في حُراسه وجنده:

«تبًّا لكم وسحقًا!.. تبًّا لكم وسحقًا! يقوم عبدٌ من عبيد أهل البصرة.. ويقول فينا ما شاء أن يقول.. ثم لا يجد فيكم من يرده أو ينكر عليه؟! والله لأسقينّكم من دمه يا معشر الجبناء!».

ثم أمر أن يُفْرَش بِسَاطٌ من جلد.. حتى يقع عليه دم الحسن.. فلا يتطاير على الأثاث فيلوثه.

ثم أمر السياف أن يقف عن يمينه شاهرًا سيفه، وأن يقف الجلاد عن يساره..

وهكذا قد هيأ المكان لقتل الحسن البصري.. ثم أمر جنوده أن يُحضروا الحسن، فجاء الحسن.. فنظر.. فإذ بالمكان أُعِدَ لقتله!

فتمتم بكلماتٍ لم يفهمها أحد.. ثم دخل على الحجاج في جلالة المؤمن.. وعزة المسلم.. وهيبة العَالِم .. دخل عليه كالأسد.. لا يهاب شيئًا.. فلم يَهُزه رؤية السياف ولا سيَفه.. وهنا خفقت قلوب الحاضرين! واهتزت بين أضْلُعِها.. وعلموا أنَّ الحسن مقتولٌ لا محالة.. فمن ذا الذي ينجو من هذا الطاغية؟! والناس على هذه الحال.. إذا بالحجاج يهاب الحسن كهيبة الأسد، ويقول له:

«ها هنا يا أبا سعيد.. ها هنا يا أبا سعيد، تعالَ اجلس هنا!».

فما زال يُوَسِع له و يقول: ها هنا، حتى أَجْلَسَه على فراشه!

وأخذ يتودد إليه بأفضل الكلام وأحسنه!.. والناس في دهشةٍ وذهول لا يصدِّقون ما يرون!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال له الحجاج:

-ما تقول في عليٍّ وعثمان؟

قال الحسن:

-أقول قول من هو خيرٌ مني عند من هو شرٌّ منك: قال موسى لفرعون حينما سأله:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

عِلْم علي وعثمان عند الله.

وأخذ الحجاج يسأل الحسن عن أمورٍ في الدين.. والحسن يجيبه بثباتٍ ورباطة جأش، وعلم واسع.. وفصاحة عالم..

فقال الحجاج :

-أنت سيد العلماء يا أبا سعيد!.

ثم أمر الحجاج بأغلى أنواع الطيب، ثم قام بنفسه فطيَّب لحية الحسن البصري، فلمَّا انصرف الحسن ودعه الحجاج بأحسن الكلام وأطيبه!

فخرج حاجب الحجاج مسرعًا خلف الحسن البصري..

فقال الحاجب للحسن:

-لقد طلبك الحجاج لغير هذا يا إمام، لقد كان يُريد قتلك.. وقد رأيتك حركت شفتيك فماذا كنت تقول؟

قال الحسن:

- لقد قُلت: (يا وليَّ نعمتي وملاذي عند كُربتي، اجعل نقمته بردًا وسلامًا عليَّ كما جعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم).

وهكذا يكون حال المؤمن، إذا خاف من الله وحده خوّف الله منه كل شيء وأعانه على الأمر بالمعروف والصدع بالحق بلا خوفٍ أو استكانة.

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويحك يا حجاج!

دخل الحجاج المسجد.. ثم وقف على المنبر ليخطب في الناس..

بدأ يعلو صوت الحجاج شيئًا فشيئًا؛ حتى صاح بأعلى صوته قائلًا:

«أيها الناس، الصبر عن محارم الله.. أيسر من الصبر على عذاب الله..»

وأنا لا أدري أي محارم يقصدها الحجاج؟

أليس القتل من محارم الله؟ فلم أرقت الدماء يا حجاج أنهارًا؟

أليس الجَلد والتعذيب بدون حقٍّ من محارم الله؟ فلم عذَّبت العلماء والفقهاء والدعاة يا حجاج؟ أليست الكعبة لها حرمتها؟ فلم انتهكت حرمتها يا حجاج؟

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾. [البقرة: ٤٤].

واعذرني أخي الحبيب: فإنَّ كلام الحجاج قد جعل ثورةً داخل النفس.. جعلها تصرخ بين جنبي وتقول:

«هل هذا هو الحجاج الذي نعرفه بظلمه وجبروته وانتهاكه لحرمات الله؟ أم أنَّ هذا حجاجٌ آخر؟!».

فلا أجد جوابًا إلا قول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. [الصف: ٢].

فالعجب كل العجب أن يخرج هذا الكلام من الحجاج!

فيبدو أنَّ أحد الجالسين حينما اخترقت كلمات الحجاج أذنه.. وجهت سهامها إلى قلبه فتسارعت نبضات قلبه، وثارت الدماء في عروقه، فوقف في سرعة البرق قائلًا:

-ويحك يا حجاج! .. ما أصفق وجهك وأقل حياءك!

تفعل ما تفعل.. وتقول مثل هذا الكلام؟

خَبُث وضل سعيك!.

فقال الحجاج للحرس:

- خذوه!

فلما فرغ من خطبته قال له:

-ما الذي جرَّأك عليَّ؟

فقال الرجل:

-ويحك يا حجاج! أنت تجترئ على الله.. ولا أجترئ أنا عليك؟

ومن أنت حتى لا أجترئ عليك.. وأنت تجترئ على الله رب العالمين؟!.

فقال الحجاج:

- خلوا سبيله.

قلت: لله درُّك من بطل!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن كان التاريخ لم يسجل اسمك.. فقد سجل جرأتك في الحق بمدادٍ من نور!.

أخي، إياك أن تكون مثل الحجاج .. تأمر بالمعروف ولا تأتيه، وتنهى عن المنكر وتأتيه.. فتسقط هيبتك عند الناس .. ويجترؤون عليك..

كيف يقتدي بك الناس إن خالف قولك عملك؟ كيف يحترمك الناس إذا كان كلامك في وادٍ وعملك في وادٍ آخر؟ ماذا لو نهيت الناس عن سماع الغناء ووجدوك تستمع له؟ ماذا لو نهيت الناس عن الربا ووجدوك تتعامل به؟ ماذا لو نهيت الناس عن الخمر ووجدوك تشربها؟

لاَ تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِيـمُ

إذن فما جزاء مَن خالف قوله عمله؟ وما جزاء من يأمر بمعروفٍ ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه؟ ويجيبك عن هذا رسول الله ﷺ فيقول:

«أتيتُ ليلةَ أُسريَ بي على قوم تُقرَضُ شِفاهُهم بمقاريضَ من نار، كلما قرُضِتْ وفَتْ، فقلتُ: يا جبريلُ مَنَّ هؤلاءِ؟ قال: خطباءُ أُمَّتِك الذين يقولون ما لا يفعلون، و يقرؤون كتابَ اللهِ ولا يعملون به». (صحيح الجامع).

عن أسامة بن زيد – رضي الله عنه – قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«يُؤتَى بالرجل يومَ القيامة فيُلقَى في النار فتندَلِق أقتابُ بَطنِه، فيَدُور بها كما يَدُور الحمار في الرَّحَى، فيجتَمِع إليه أهلُ النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنتُ آمُر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»**.(مُتفقٌ عليه).

أنت مقتولٌ

وقف الحجاج يستعرض جنده.. سمع غلامًا يقرأ قول الله تعالى:

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾. [الشعراء : ١٢٩-١٣١].

فنظر الحجاج إلى الغلام نظرة إعجاب! ثم قال له الحجاج:

- أرى لسانًا فصيحًا، تَقَدَّم يا غلام!

فَتَقَدم الغلام..

فسأله الحجاج:

-أتحفظ القرآن يا غلام؟

قال الغلام:

-ما خفت ضياعه حتى أحفظه، وقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. [الحجر : ٩].

قال الحجاج:

-أجمعت القرآن؟

قال الغلام:

-ما كان مفرقًا حتى أجمعه، فقد جمعه أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

احتار الحجاج في أمر الغلام، كيف يتعامل معه؟ وكيف يكلمه؟

فقال الحجاج:

-ويحك! ماذا أقول؟

قال الغلام:

- قل هل معك من القرآن شيء، فبهذا جاء الحديث.

فقال الحجاج:

-اتلُ شيئًا من القرآن.

فقرأ الغلام: «**إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتح ورأيت الناسَ يخرجون من دينِ الله أفواجًا**».

فقال الحجاج:

-ويحك يا غلام، يدخلون في دين الله أفواجًا!.

قال الغلام:

- هذا في عهد رسول الله ﷺ، أمَّا في إمارة الحجاج يخرجون من دين الله أفواجًا!.

قال الحجاج:

-يا غلام، أنت مقتول! فبمَ تلقى الله؟

قال الغلام:

-ألقاه بعملي، وتلقاه بدمي!

فعفا عنه الحجاج!.

أخي الحبيب، هل الصدع بالحق يقطع رزقًا؟ هل يُنقص عمرًا؟

لقد جهر الغلام بالحق، فهل استطاع الحجاج أن يقتله؟ لا يستطيع أحدٌ أن يضرك ما دام الله معك؟ ولو كادك أهل الأرض جميعًا، فلا قوة على وجه الأرض تقف في وجه الحق..

ولا سلطان يعلو سلطان الله!

فممن تخاف؟ وماذا تخشى ما دمت في كنف الله ونصرته؟!

الآجال مكتوبة، والأرزاق مقسومة فمم تخاف وتحذر؟!

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على فراش الموت

يعيش الغافل في الدنيا.. كأنه مُخَلَّد.. وكأن الموت خُلِق لغيره!

يطغى ويتكبر ويُعربد في الدنيا.. كأنه لا حساب ولا عقاب

ثمّ تأتي لحظة الاحتضار، وهنا فقط .. يعرف مدى حقارة الدنيا!

وهكذا كان الحال مع الحجاج حينما جاءه الموت..

مرض الحجاج ونام على فراش الموت.

نام الحجاج على ذاك الفراش.. الذي يستوي فيه .. الطاغية والضعيف.. والوزير والغفير.. والسلطان والحقير.. فهل تَذَكَّر الحجاج هذا اليوم من قبل؟

أين الجاه والسلطان؟ أين السياف والجلاد؟ أين الجند والسلاح والقوة والجبروت؟ أين الخدم والحشم؟ أين الأموال والأولاد؟

لقد رحلوا جميعًا.. بلا رجعة.. وبقيت صفحاتٌ.. إما سوداء وإما بيضاء!

دخل (يَعْلَىٰ بن مخلد المجاشعي) على الحجاج وهو على فراش الموت..

فقال يعلى بن مخلد:

-كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته؟

فقال الحجاج:

-يا يعلى، غَمًّا شديدًا.. وجهدًا جهيدًا .. وألمًا مضيضًا، ونزعاً حريضًا، وسفرًا طويلًا، وزادًا قليلًا.. فويلي ويلي، إن لم يرحمني الجبار!.

الله أكبر الله أكبر!

الآن يا حجاج تذكرت الرحمة؟! وأين كانت الرحمة في حياتك؟

أين كانت الرحمة حينما قتلت العلماء؟ الذين لم يشفع لهم علمهم.. ولا كِبَر

سنهم، ولا دفاعهم عن بيضة الإسلام؟ أين كانت الرحمة حينما قطعت رؤوس كل من صدع بالحق؟

أين كانت الرحمة حينما أخذت البيعة بحد السيف؟

فقال يعلى:

- يا حجاج، إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء.. أولي الرحمة والرأفة.. والتَحَنُن والتَعَطُف على عِباده وخلقه.. أشهد أنك قرين فرعون وهامان؛ لسوء سِيرتك وترك مِلتك.. وتنكبك عن قصد الحق وسنن المحجة.. وآثار الصالحين، قتلت صالحي الناس فأفنيتهم.. وأبرت عِتْرة التابعين فتبرتهم.. وأطعت المخلوق في معصية الخالق.. وهرقت الدماء وضربت الأبشار.. وهتكت الأستار وسُست سياسة متكبرٍ جبار.. لا الدين أبقيت.. ولا الدنيا أدركت.. أعززت بني مروان.. وأذللت نفسك.. وعَمَّرت دورهم وأخربت دارك، لقد كنت لهذه الأمة.. اهتمامًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واغتمامًا.. وعناءً وبلاءً.. فالحمد لله الذي أراحها بموتك.. وأعطاها مُنَاها بخزيك!.

فسكت الحجاج وكأنما قُطِع لسانه، وتنفس الصعداء، وخنقته العبرة!

ثم رفع رأسه فنظر إليه فقال:

ربِّ إنَّ العِبادَ قد آياسُوني ورَجائِي لكَ الغداة عظيمُ

أخي الحبيب، إنَّ الظالم ليتمادى في ظلمه وغَيّه.. مغترًا بحلم الله عليه .. يظلم عباد الله .. ويَسُومهم سوء العذاب .. ظنًا منه أنه لا سلطان فوق سلطانه.. ولا قوة فوق قوته.. ولا جبروت مثل جبروته!.

فالحمد لله الذي أَذَل بالموت رقاب الجبابرة.. وكسر بالموت ظهور الأكاسرة.. وقَصَّر بالموت آمال القياصرة.. فنقلهم من ضياء المهود.. إلى ظلمة اللحود.. ومن مداعبة الجواري والغِلمان.. إلى مقاساة الهوام والديدان.. ومن التَنَعُمِ في الطعام والشراب.. إلى التَمَرُغِ في الوحل والتراب!.

فما ظنك أخي لو لم يهجم المرض والموت على الطغاة ؟

أو لم يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؟ إذن لتحولت الحياة إلى جحيمٍ لا يُطاق!.

أخي، سَلْ نفسك أين الطغاة والجبابرة على مر التاريخ؟

أين قوم عاد؟ أين قوم ثمود؟ أين فرعون وهامان؟

أين النمرود بن كنعان؟ أين أبو جهل وأبو لهب وصناديد الكفر في كل زمان ومكان؟ أين.. وأين.. وأين؟..

أينَ الظالمون وأين التابعـــون لهم ... في الغيِّ بل أين فرعون وهامانُ؟
أين من دوَّخوا الدنيا بسطوتهم ... وذِكرهم في الورى ظلمٌ وطغيـانُ؟
أين الجبابرة الطاغون ويحهموا ... أين من غـــرَّهم لهوٌ وسلطانُ؟
هل أبقى الموت ذا عزٍّ لعزتـه ... أو هل نجا منه بالسلطان إنســانُ؟
لا والذى خلق الأكوان مـــن ... عدم الكلُّ يفنى فلا إنـــسٌ ولا جانُ

هل يظنُّ الظالم أنه يُفْلِت من قبضة الله ؟

ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّه لَيُمْلي لِلظّالم، حتَّى إذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**». **قالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾**. [هود: ١٠٢].

فمن يستطيع أن يُفْلِت من قبضة الله إن أخذه؟

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «ما زلت أسمع عن جماعةٍ من الأكابر.. وأرباب المناصب أنَّهم يشربون الخمور، ويفسقون ويظلمون ويفعلون أشياءً توجب الحدود، فبقيت أتفكر أقول: متى يثبت على مثل هؤلاء ما يوجب حدًّا؟ فلو ثبت فمن يقيمه؟ وأَسْتبعد هذا في العادة.. لأنهم في مقام احترام لأجل مناصبهم.. فبقيت أتفكَّر في تعطيل الحد الواجب عليهم.. حتى رأيناهم قد نُكبوا.. وأخذوا مراتٍ.. ومرَّت عليهم العجائب..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقوبل ظلمهم بأخذ أموالهم.. وأُخِذَت منهم الحدود مضاعفةً.. بعد الحبس الطويل.. والقيد الثقيل، والذُل العظيم.. وفيهم من قُتل بعد ملاقاة كل شدة.. فعلمت أنه ما يهمل شيء! فالحذر الحذر.. فإن العقوبة بالمرصاد».

لا تَظلمَنَّ إذا ما كُنتَ مُقتَدرًا فَالظُلمُ مَرتَعُهُ يُفضي إلى النَدَم
تَنامُ عَينُكَ وَالمَظلومُ مُنتَبِهٌ يَدعو عَلَيكَ وَعَينُ اللَهِ لَم تَنَمِ

فهذا (يحيى البرمكي) وابنه، بعد العز والجاه، والمُلك والسلطان.. وضِعا في قيودهما داخل السجن!

فنظر ابنه إلى القيود وقال:

- يا أبت أبعد العز والجاه نرتدي الصوف في السجن؟

فقال يحيى البرمكي لابنه:

- يا بني لعلها دعوة مظلوم، سرت بليل.. غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها.

فكم من دعوة مظلوم قصمت ظهر طاغية؟!.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾. [الكهف: ٤٩].

***

نبيٌّ بلا نبوة!

(أبو مسلم الخولاني) هو عبد الله بن ثوب.. سيد التابعين.. وزاهد عصره.

ادَّعىٰ (الأسود العنسي) باليمن أنه نبيٌّ يوحى إليه، يأتيه بالوحي ملكان – أحدهما يسمى سَحيق والآخر شقيق! وإني لأعجب من هذا الدَّعي الكذاب!

كيف يدعي النبوة؟!

ألم يسمع قول الله تعالى عن النبي محمد: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.؟ [**الأحزاب** : ٤٠].

ألم يسمع قول النبي : «. . **وإنَّهُ سيَكونُ في أمَّتي ثلاثونَ كذَّابونَ كلُّهم يزعمُ أنَّهُ نبيٌّ، وأنا خاتمُ النَّبيِّينَ لاَ نبيَّ بَعدي**».؟

أين الأدلة على صدق كلامه؟ أين المعجزات؟

أين.. وأين.. وأين؟ ولكن لا تعجب إنه الخبل والجنون!

فلا تكاد تمر فترةٌ من الزمان.. حتى يخرج علينا دَعِيٌّ كذاب يدَّعي النبوة،

والعجب أنك إذا تتبعت سيرة أحدهم.. علمت أنه أجهل الجهلاء، وأبعد الخلق عن رب السماء! فكيف تكون له النبوة؟ وأنَّىٰ له ذلك؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي عصرنا هذا تخرج علينا بين الحين والحين.. شاشات الفضائيات أو الصحف والمجلات بمدعٍ للنبوة!

فأغلب هؤلاء تجدهم دجالين ومشعوذين وسحرة.. يظن أحدهم أنَّ النبوة.. دجلٌ وسحرٌ.. وشعوذة،.. وأن يأتي بالأعاجيب!

فلو كانت النبوة بالشعوذة والدجل.. لامتلأت الأرض بالأنبياء والمرسلين!!

لكن النبوة والرسالة وحيٌ من رب العالمين..

استخدم - الأسود العنسي- الكهانة والشعوذة والسحر والخطابة البليغة.. للتأثير على الناس.. فكان يأتي الناس بالأعاجيب.. فتبعه في اليمن خلقٌ كثير.. أغلب من تبعه من اللصوص وقطَّاع الطُرق!..

استفحل أمره وعاث في الأرض فسادًا، فانتهك الأعراض ونهب الأموال، وقتل العلماء والدعاة، فذبح من المسلمين من ذبح، وحرق من حرق.. وطرد من طرد، فكل من لم يشهد له بالنبوة فله عذابٌ أليم.. حتى أنه قَطَّع (النعمان) – أحد المسلمين- عضوًا عضوًا.. وفر كثير من الناس بدينهم، وقف أبو مسلم الخولاني في وجه طاغية اليمن.. صادعًا بالحق ناصرًا له.. يُبَيِّن زيف هذا الساحر الكذاب، ويدعو الناس للثبات على الحق..

يبين للناس أن محمدًا هو النبي الحق.. وأنَّ العنسي مدعٍ كذاب..

أرسل الأسود العنسي.. إلى أبي مسلم الخولاني.. ليشهد له بالنبوة..

ولكن هيهات.. هيهات، إنَّ أبا مسلم بطل عظيم.. وأسدٌ من أسود الحق.. فليس أبو مسلم ممن ينخدع بساحر كذاب، وقف أبو مسلم أمامه في عزةٍ

وإباء.. وقف كالأسد الهصور ينتظر فريسته..

قال العنسي:

-أتشهد أنَّ محمدًا رسول الله؟

قال أبو مسلم :

-نعم

العنسي:

-أتشهد أني رسول الله؟

أبو مسلم:

-ما أسمع

العنسي:

-أتشهد أن محمدًا رسول الله؟

قال أبو مسلم:

- نعم

العنسي:

-أتشهد أني رسول الله؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبو مسلم:

- ما أسمع!

العنسي يسأل نفس السؤال وأبو مسلم يرد بنفس الجواب، فهدد أبا مسلم بالحرق.. لكن أبا مسلم ثبت على الحق، لم يُضْعِف التهديد من عزيمته أو يكسر من إرادته.. يئس العنسي من أبي مسلم، فأمر جنوده أن يُضْرموا نيرانًا عظيمة.. فأضرمت النيران.. وكأنها ليست لأبي مسلم.. إنما أُعِدت لتلتهم الجبال! أوثقوا أبا مسلم بالسلاسل والقيود، ثم وضعوه على مقلاع.. ليقذفوه في النار، وقف الناس في دهشةٍ وذهول! خفقت قلوب المسلمين.. حتى بلغت القلوب الحناجر، وظن الناس الظنونا!

الكل ينتظر أيهما يسحق الآخر.. الحق أم الباطل؟ فأصحاب القلوب الضعيفة في مثل هذه المواقف.. لا يَشُكون في نصرة الباطل، لماذا؟

لأنهم يرون أنَّ السلطة والقوة في يد الباطل..

ويرون الحق كأنه ضعيف لا حول له ولا قوة!.

وبنظرهم القاصر.. وقلوبهم العمياء.. كيف ينتصر الحق على الباطل؟!!

تَناسىٰ هؤلاء.. أنَّ الحق من الله، وأنَّ الله هو الحق.. وأنَّ الله تعالى قال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾. [**المجادلة : ٢١**].

وهنا.. أمر العنسي رجاله.. أن يقذفوا أبا مسلم في النيران، فقذفوه بالمقلاع ، حتى طار بقيوده في السماء.. وهو يردد:

«**حسبي الله ونعم الوكيل!**».

سقط أبو مسلم في وسط النيران، أحاطت النيران بأبي مسلم.. لا لتحرقه.. ولكن لتحرق قيوده!.

الله أكبر.. الله أكبر!..

كيف تحرق النار أبا مسلم وهو يدافع عن ربها؟! كيف تحرق النار أبا مسلم وهو يدافع عن النبي محمد؟! إنَّ النار التي امتنعت أن تأكل نبي الله إبراهيم.. هي نفسها التي امتنعت أن تأكل أبا مسلم؛ لأن رب النار

واحد.. أكلت النار السلاسل والقيود.. ثم بدأت النار تخبو شيئًا فشيئًا..

خرج أبو مسلم من النار بثيابه كاملة، لم تمسه النار!..

ذُهِل الطاغية مما يراه أمام عينيه، لقد خرج أبو مسلم ولم تضره النار.. خاف العنسي أن يَنْفَض الناس من حوله ويتركه أتباعه.. فماذا يصنع الطاغية؟

سأل أصحابه:

- ماذا أصنع بأبي مسلم؟

فقالوا له:

-إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك؟

فصدقوا والله، فمثل هذا الكذاب لا يصمد أمام أبي مسلم، لا يصمد الباطل أمام الحق؛ فالباطل دائماً يتظاهر بالقوة ويهرب من المواجهة، فطرده

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العنسي من بلاده.. خرج أبو مسلم من اليمن متجهًا إلى المدينة.. وقد مات رسول الله واستخلف أبوبكر.

وصل إلى المدينة.. دخل المسجد يصلي.. فرآه عمر بن الخطاب.. وعمر لا يعرفه..

فقال الفاروق رضي الله عنه:

-من أين الرجل؟

أبو مسلم:

- من اليمن

عمر:

-ما فعل عدو الله- العنسي- بصاحبنا الذي حرقه بالنار ولم تضره؟

أبو مسلم:

-ذاك عبد الله بن ثوب.

عمر:

-نشدتك بالله أنت هو؟

أبو مسلم:

-اللهم نعم

فأعتنقه عمر وقبَّل ما بين عينيه، ثم أخذه إلى الصدِّيق.. وأجلسه بينه وبين أبي بكر.. ثم قال عمر:

– الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أمة محمد من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن!..

أخي الحبيب، لعلك لاحظت كيف كان رده على عمر حينما سأله: ما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار ولم تضره؟

ماذا قال أبو مسلم؟ قال ذاك عبد الله بن ثوب!

لم يقل أنا عبد الله بن ثوب الذي لم تأكله النار.. بل قال: ذاك عبد الله بن ثوب.. وكأنه إنسانٌ آخر، أتدرون لماذا رد هكذا؟

إنه يخاف على نفسه الشُهرة، نعم يخاف الشهرة وحب الظهور التي تقصم الظهور، الشهرة التي كان يَفِر منها السلف فرار الفريسة من الأسد، أما حالنا الآن فتبكي عليه البواكي، ليس عالمًا من ليس مشهورًا..

ليس داعيةً من كان مغمورًا! إنَّ الشهرة هي داء العصر العُضال.

هل تعلم أول من تُسَعَّر بهم النار؟ إنهم طالبو الشهرة..

عالمٌ.. قارئ.. مجاهد..

عالمٌ طلب العلم ليشتهر بين الناس ويقالُ عالم!

قارئٌ قرأ القرآن لتسلَّط عليه أضواء الشهرة!

مجاهدٌ جاهد ليُشار إليه بالبنان ويقال بطلٌ مغوار!

أخي، إياك وهذا الداء الخبيث.. الذي يقضي على الإخلاص في القلوب.. ويزرع النفاق والرياء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيها الأجير

دخل أبو مسلم الخولاني على أمير المؤمنين (معاوية بن أبي سفيان)

فقال أبو مسلم لأمير المؤمنين معاوية:

-السلام عليك أيها الأجير!

فقال الناس:

-أبا مسلم، السلام عليك أيها الأمير!

قال أبو مسلم:

- السلام عليك أيها الأجير!

قال الناس:

- الأمير يا أبا مسلم!

فقال معاوية:

-دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول..

قال أبو مسلم لمعاوية:

- إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيرًا فولاه ماشيته وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية.

أخي الكريم، إنَّ أبا مسلم أحد أفراد الشعب، وإنَّ معاوية هو حاكم الدولة الإسلامية.. فهل رأيت أبا مسلم كيف يصدع بالحق؟

هل رأيته كيف يخاطب الحاكم؟ إنها الحرية التي لا تُنال إلا في ظل شرع الله.

هل علمت لماذا يخوفونك من حكم الشريعة؟

لأنهم يعلمون أنك لن تجد طعمًا للحرية إلا في ظل الشرع..

هل علمت الآن من أين تعلمت أوروبا حرية التعبير؟ تَعَلَّمَتْ من المسلمين حينما كان يحكم شرع الله.

هل تعلم أخي أنَّ الدولة الإسلامية كانت تُعطي مرتباتٍ لكل أفراد الشعب وكانوا يسمونه عطاء؟..

منع معاوية العطاء عن المسلمين ثلاثة أشهر، فلما صعد المنبر وقف أبو مسلم وقال له:

-لم منعت العطاء يا معاوية؟ إنه ليس من كدِّك، ولا كدّ أبيك، ولا كدّ أمك، حتى تمنع!.

فغضب معاوية غضبًا شديدًا، ونزل عن المنبر وقال للناس:

- مكانكم

غاب عن أعين الناس ساعة.. ثم جاء فقال للناس:

-إنَّ أبا مسلم تكلم بكلام أغضبني، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الغضبُ من الشيطانِ، والشيطانُ خُلق من نارٍ، وإنما تُطفأ النارُ بالماءِ، فإذا غضبَ أحدُكم فليغتسلْ**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنّي دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم، إنه ليس من كدّي ولا كد أبي فهلمُّوا إلى عطائكم.

أخي الحبيب، وقف أبو مسلم يصدع بالحق، ويطالب بحقه الذي فرضته الدولة له.. فماذا كان رد معاوية رضي الله عنه؟

هل وضع السيف على رقبة أبي مسلم؟ هل كان رده السجن أو القتل أو التعذيب أو الطرد؟ أقصى ما فعله معاوية أنه غضب.. ثم ماذا؟

ثم توضأ ليُطفئ نار غضبه، ثم قال: صدق أبو مسلم هلمُّوا إلى عطائكم..

فماذا لو صنع أحدنا اليوم مع رئيس دولته أو أميره مثل ما صنع أبو مسلم مع معاوية؟!

وهل يستطيع أحدنا أن يراه إلا على شاشات التلفاز؟!!.

***

كيف أنت يا هشام؟

جاء أمير المؤمنين (هشام بن عبد الملك) إلى مكة لأداء الحج، فلما دخل مكة قال:

-أريد رجلًا من الصحابة؟

قال الناس:

- لقد تفانوا يا أمير المؤمنين.

(أي ماتوا جميعًا).

قال هشام:

-إذن أريد رجلًا من التابعين؟

فأتوا له بـ (طاووس اليماني)، فدخل عليه طاووس، فلما كان بحاشية بساطه خلع نعليه، ثم قال طاووس:

-السلام عليك.. كيف أنت يا هشام؟!

(لاحظ أنه لم يقل يا أمير المؤمنين).. ثم جلس جوار هشام بن عبد الملك

(لاحظ أنه لم يقف حتى يأمره بالجلوس)

استشاط هشام غضبًا مما فعله طاووس.. ومن شدة غضبه هَمَّ بقتله!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال له الحاضرون:

-يا أمير المؤمنين، أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك..

فقال هشام غاضبًا:

- يا طاووس، ما الذي حملك على ما صنعت؟؟

قال طاووس:

- وما الذي صنعت؟!

فاشتد غيظ هشام وازداد غضبه وقال:

-يا طاووس، قد خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تُقَبِّل يدي، ولم تقل السلام عليك يا أمير المؤمنين، ولم تُكنني، وجلست جواري دون إذني، وناديتني باسمي فقلت: كيف أنت يا هشام!.

فقال طاووس:

-أما ما خلعت نعلي بحاشية بساطك.. فإني أخلعها بين يدي ربِّ العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب عليَّ، وأما قولك: لم تُقبل يدي.. فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:

«لا يحلُّ لرجلٍ أن يُقبل يد أحد، إلا امرأته من شهوة أو ولده برحمة».

وأما قولك لم تُسلم بأمير المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك.. فكرهت أن أكذب.. وأما قولك: جلست جواري فإني سمعت أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «**إذا أردت أن تنظر إلى رجلٍ من أهل النار، فانظر إلى رجلٍ جالس وحوله ناس قيام**»..

أما قولك: لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أولياءه فقال: يا داود.. يا يحيى.. يا عيسى .. وكنى أعداءه فقال:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾. [**المسد** : ١].

فقال هشام:

- عِظْني يا طاووس.

فقال طاووس:

- سمعت أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه يقول: «**إن في جهنم حياتٍ كأمثال القلال، وعقارب كالبغالِ، تلدغ كل أميرٍ لا يعدلُ في رعيته**».

ثم قام طاووس وخرج.

أخي المسلم، هل رأيت كيف يتعامل ملوك الدنيا مع الناس؟

يريدك عبدًا ذليلًا له.. لا تستطيع الدخول عليه، فإن أذن لك في الدخول..

ترتدي أجمل الثياب.. تقبل يديه.. لا تخلع نعليك بحاشية بساطه..

لا تنطق بكلمة إلا بعد إذنه.. تنتقي له أطيب الكلام وأحسنه..

تظل واقفًا أمامه إلى أن يأمرك بالجلوس..

لا تطمع في الجلوس بجواره..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تنصرف إلا أن يأذن لك في الانصراف..

ثم يرى بعد ذلك أيغضب عليك أم يرضى؟

فإن عصيته في أمرٍ أو خالفته في شيء.. فلربما كنت من ساكني القبور.. أو قضيت بقية عمركَ في غياهب السجون أو.. أو..

هذا ما يصنعه ملك من ملوك الدنيا.. وهو لا يملك من أمره شيئًا،

فكيف بمالك المُلك وملك الملوك؟!

بابه دائمًا مفتوح.. لا يحجبك من دونه حاجب، فمن ذا الذي يطرق بابه.. ولا يجده مفتوحًا؟ يناديك في اليوم خمس مرات لتأتي إلى بيته؟

تخلع نعليك بين يديه في اليوم خمس مرات.. فلا يعاتبك ولا يغضب، يُناديك في السَحَر.. هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟

فماذا لو أتيت إليه تمشي؟

لأتاك هرولة!

تدعوه وتناجيه في أي وقت.. فيسمع دعاءك ويجيب نداءك، يُعطيك وتَجحد.. يُنعم عليك وتَسْخط..

رحماته إلينا نازله.. ومعاصينا إليه صاعدة..

الأرض أرضه.. والسماء سماؤه.. والمُلك مُلكه.. نَعصِيه ويَحْلُم!

فما أحلمك يا رب!

أرحم بك من أمك.. فما أرحمك يارب!.

أعوان الظَّلَمَة

استدعى (أبو جعفر المنصور) -الحاكم العباسي- طاووس ومالك بن أنس – رحمهما الله تعالى- فلما دخلا عليه صمت طويلًا ولم يكلم أحدًا منهم؛

ثم التفت إلى طاووس وقال له:

-حدثني عن أبيك يا طاووس.

فقال طاووس:

- حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: «**أشدُّ الناسِ عذابًا يوم القيامة، رجل أشركه الله في حُكمه فأدخل عليه الجور في عدله**».

وهنا ظنَّ مالك أن طاووسًا مقتولٌ لا محالة، يقول مالك: «فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه».

صمت أبو جعفر طويلاً.. ثم التفت إلى طاووس فقال:

-عِظْني يا طاووس.

قال طاووس: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾. [الفجر : ٦-١٤].

قال مالك: «فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه».

فأمسك أبو جعفر عن طاووس ولم يقتله، ثم قال لطاووس:

- ناولني الدواة.

(التي يكتب بها أبو جعفر)

فلم يناوله طاووس الدواة، فصمت أبو جعفر طويلًا

يقول مالك: «حتى أسْوَدَّ ما بيننا وبينه، ثم قال:

- يا طاووس ناولني هذه الدواة.

فلم يناوله طاووس الدواة

فقال أبو جعفر:

- ما يمنعك أن تناولنيها؟

قال طاووس:

-أخشى أن تكتب بها معصية لله، فأكون شريكك فيها..

فقال أبو جعفر:

- قُوما عني!

قال طاووس:

- ذلك ما كنا نبغِ منذ اليوم.

أخي الحبيب، أرأيت لماذا لم يناوله طاووس الدواة؟ خشي أن يكون من أعوان الظلمة..

يا الله.. يا الله!

فماذا يصنع من يكون سببًا في قتل الأبرياء؟ وماذا يصنع من يكون سببًا في انتهاك الأعراض؟ وماذا يصنع من يكون سببًا في نهب الأموال؟

أخي الحبيب، إن الظالم لا يستطيع أن يظلم.. إن لم يكن له أعوانٌ يعينونه على ظلمه.. فإياك ثم إياك أن تكون من أعوان الظَّلمة، وإياك أن تُعينهم على ظلمهم.. ثم تقول هذه المقولة الخبيثة

«**أنا عبد المأمور**»..

أنت لست عبدًا لأحد إلا الله.. فأنت عبد الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. إن من أعان ظالمًا فهو ظالمٌ مثله.. وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أعانَ ظالمًا لِيُدْحِضَ بباطِلِهِ حقًّا، فَقَدْ بَرِئَتْ منه ذمَّةُ اللهِ ورسولِهِ**». (صحيح الجامع).

أتدري من هم أعوان الظلمة؟؟

قال بعض السلف: «أعوان الظلمة مَن أعانهم ولو أنهم لاق لهم دواة أو برى لهم قلمًا».

لو كنت تُقدم القلم للظالم ليكتب به.. فأنت من أعوان الظلمة !.

لَّما حبسوا (أحمد بن حنبل) في السجن جاءه السّجان، فقال:

-يا أبا عبد الله، الحديث الذي رُوِي في الظَّلَمة وأعوانهم صحيح؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال:

-نعم.

قال السجان:

-فأنا من أعوان الظلمة؟؟

قال له الإمام أحمد:

-أعوان الظلمة مَن يأخذ شعرك ويغسل ثوبك، ويصلح طعامك ويبيع ويشتري منك، فأما أنت فمن الظلمة أنفسهم!.

وقال رجلٌ للإمامِ أحمد:

- ترى أنّي من أعوان الظلمة؟

قال له:

-وما تصنع؟

قال:

- خَيَّاطُهم.

فقال:

-لا، بل أنتَ منهم، إنّما أعوانُهم الذي يبيعُك الخيطانَ والإبرة.

و جاء خيّاطٌ إلى (سفيان الثوري) فقال:

-إني رجل أخيط ثياب السلطان (وكان السلطان ظالمًا)، هل أنا من أعوان الظلمة؟

فقال سفيان:

-بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط!.

هل علمت من هم أعوان الظلمة؟ أتدري ما هي عقوبتهم؟

لقد تبرأ النبيّ ﷺ من أعوان الظالمين وحرمهم من الورود على حوضه فقال: «**سيكونُ عليكم أمراءُ يأمرونكم بما لا يفعلونَ، فمن صدَّقهم بكذبِهم وأعانهم على ظُلمِهم فليس منِّي ولست منه ولن يَرِدَ علَيَّ الحوضَ**». (صحيح).(تخريج المسند لشاكر).

يا الله.. يا الله!

ماذا يقول علماء السوء لربهم؟ وماذا يقول مشايخ السلطان؟

وبأي وجه يلْقون به رسول االله؟

وهل ضاع الدين إلا بسبب هؤلاء؟

الذين باعوا دينهم بمتاع من الدنيا!

لقد سخَّروا الدين لخدمة السلطان، باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم.

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عِظْنِي يا غلام

عندما تولى (عمر بن عبد العزيز) الخلافة، جاءت إليه الوفود من كل بلد لتهنئه، فأتى إليه وفد الحجاز، انتظر عمر حتى يتكلم كبيرهم..

تقدم غلام صغير السن ليتكلم!

تعجب عمر من أمر الغلام، كيف يتقدم هذا الغلام وهو أصغرهم؟!

فقال عمر:

-يا غلام ليتكلم من هو أسن منك، فإنه أحق بالكلام.

فقال الغلام:

-يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبدًا لسانًا لافظًا وقلبًا حافظًا فقد استحق الكلام، ولو أنَّ الأمر يا أمير المؤمنين بالسن، لكان في الأمة من هو أحقُّ بمجلسك هذا منك!

فقال عمر: صدقت، قل ما بدا لك.

فتكلم الغلام بما أراد، فقال عمر:

- عظني يا غلام.

فقال:

- يا أمير المؤمنين، إنَّ أناسًا غرَّهم حلم الله وثناء الناس عليهم، فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك، وتكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

فقال عمر:

-كم عمر هذا الغلام؟

فقيل له:

- إحدى عشرة سنة!.

فتعجب عمر من جرأة هذا الغلام، وأنشد يقول:

تعلَّم فليسَ المرءُ يولدُ عالمًـــــا وَلَيْسَ أخو علْم كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وإنَّ كَبير الْقَوْم لاَ علْمَ عِنْـــــدَهُ صَغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عَلَيه الْجَحَافِلُ
وإنَّ صَغيرَ القَومِ إنْ كانَ عَالِمًا كَبيرٌ إذَا رُدَّتْ إليهِ المَحَافِـــــلُ

فيا أجرأه من غلام، وما أفصحه!.

أخي الحبيب، ما رأيك فيما صنعه هذا الغلام؟ وهل يستطيع أحد أبنائنا أن يفعل ما فعله هذا الغلام؟ بل هل يستطيع أحدنا أن يصنع ما صنعه هذا الغلام ؟!..

إنَّ هذه الشجاعة والجرأة في الحق لا تأتى من فراغ؟ بل تأتي حينما يتربى الغلام على دين الله، وحينما يتربى على حب الله ورسوله.. وحب الحق ولو كان فيه هلاكه.

أخي الحبيب، هل تجد اليوم حاكمًا يصنع ما صنعه عمر؟ يترك صبيًا يتحدث أمامه ولا يأنف من ذلك؟ ماذا لو صنع ذلك أحد حكام الغرب الآن؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لطار ذكره في الآفاق، وتحدثت به وسائل الإعلام في كل وقت وحين!

أما عن منافقي الأمة فحدِّث ولا حرج..

سيظلون يذكرون هذا الموقف؛ حتى تظن أنه من صنيعهم!.

وإني أتساءل: لماذا لا يذكرون هذه المواقف المشرِّفة من مواقف أمراء المسلمين؟ لماذا لا يذكرون موقف عمر والغلام وغيره من المواقف كثير؟

أتدري لماذا؟ لأنَّ ما صنعه عمر وغيره من حكَّام المسلمين من مواقف مشرفة؛ لا يكون إلا حينما يحكم شرع الله، وهم لا يريدون لشرع الله أن يحكم! لذلك يسدلون عليه الستار!..

وإنما تنطلق ألسنتهم حينما تأتي هذه المواقف من بلاد الكُفر، فهل ما يصنعه المنافقون حبًا في بلاد الكفر أم بُغضًا في الإسلام .. أم كلاهما معًا؟!.

***

بناتٌ عُريانات

إنَّه يوم عرفة.. وغدًا يوم العيد..

نساء الرعية (الشعب) وبناتهم خرجن يتفاخرن بثيابهنَّ الجديدة..

ثلاث بنات وقفن يرتدين ملابس رثَّة .. يبدو للرائي وكأنَّهن أبناء رجلٍ لا يجد قوت يومه..

حال وقع بصرك عليهن.. رقَّ قلبك ودمعت عيناك، وددت لو أنفقتَ كل ما تملك لتجبر كسر قلوبهن، أتدري من هنَّ؟..

إنَّهن لَسْن أيتامًا.. ولَسْنَ دون عائل..

ولَسْن من فقراء المسلمين..

إنَّهن بنات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز!..

الذي يحكم آنذاك أكثر من ربع الكرة الأرضية..

عمر.. وما أدراك ما عمر في زهده وورعه وتقواه!..

نساء الرعية وبناتهم نظرن إلى بنات عمر نظرة لومٍ واستغراب وقلن لهنَّ:

-أنْتُنَّ بنات أمير المؤمنين.. ونراكنَّ عُريانات! لا أقل من ثيابٍ بيضاء تلبسنها.

فوقعت بنات عمر في حرجٍ شديد، وامتلأت قلوبهن حزنًا على حزن، وقهرًا على قهر.. فدخلن على عمر يبكين بكاءً مريرًا، وقلن له:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-إنَّ نساء الرعية يَلُمننا ويقلن: أنتن بنات أمير المؤمنين، ونراكنَّ عُريانات، لا أقل من ثياب بيضاء تلبسنها.

كلامهنَّ وبكاؤهن سهامٌ اخترقت قلب عمر، رقَّ لحالهنَّ وأشفق عليهن..

ولكن ماذا يصنع وهو لا يملك إلا راتبه الشهري! بل إن راتبه الشهري قد تَحَصَّل عليه.. ماذا صنع عمر؟

هل أمر لهنَّ بلباسٍ كلباس بنات الرعية؟ وإن فعل فلا غُبار عليه!

هل أمر أن يأتي لهنَّ بأفخر الثياب على أحدث الموضات الأوروبية؟

أم هل أمر أن تُنْسج لهنَّ ثيابٌ خصيصًا لبنات أمير المؤمنين ولو أُنْفِقَت فيها أموال الشعب؟

أرسل عمر إلى خازن بيت المال.. فَمَثُل بين يديه، قال عمر لخازن بيت المال:

-اعطني راتب الشهر القادم من بيت المال.

فقال الخازن:

- لماذا يا أمير المؤمنين؟

فأخبره عمر بما حدث مع بناته.

فقال الخازن:

-أُعطيك راتب الشهر القادم ولكن بشرط!.

قال عمر:

-وما هو؟

قال الخازن:

-أن تضمن لي أن تعيش إلى الشهر القادم.

فياله من خازنٍ أمين، يصدع بكلمة الحق؛ حتى وإن كانت في وجه أمير المؤمنين!

تَحَيَّر عمر في أمره.. ماذا يصنع؟

ولكن.. كلمات الخازن.. نزلت على قلب عمر.. فزادته حياةً على حياة وورعًا على ورع، نظر إلى الخازن وقال له:

- نِعْمَ ما قُلت أيها الخازن، وبارك الله فيك!.

نظر عمر إلى بناته وقال لهنَّ:

-اكظمنَ شهواتكنَّ، فإنَّ الجنة لا يدخلها أحد بغير مشقَّة!.

أخي..

كم تظنُّ أن يترك حاكم دولةٍ كعمر لأبنائه من الأموال؟

أتظنُّ أنَّ أمواله قد ملأت البنوك؟ أم أنَّ قصوره قد ملأت أوروبا؟

لقد أنجب عمر أحد عشر ولدًا.. وترك ثمانية عشرة دينارًا، كُفِن بخمسة دنانير، واشْتُرِيَّ له قبرٌ بأربعة دنانير، وَوُزِع الباقي على أبنائه، هذه كل تركة أمير المؤمنين عمر!.

وقد سأل الناسُ عمر بن عبدالعزيز وهو على فراش الموت:

- ماذا تركت لأبنائك يا عمر؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال:

-تركت لهم تقوى الله، فإن كانوا صالحين فالله تعالى يتولى الصالحين، وإن كانوا غير ذلك فلن أترك لهم ما يعينهم على معصية الله تعالى.

فرحمك الله يا عمر، لقد تركت لهم والله خيرًا كثيرًا!.

هذا ما تركه عمر لأولاده.

ثم انظر أخي

إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، أنجب أحد عشر ولدًا، وكان نصيب كل ولد من التركة مليون دينار!

ماذا قال أحد السلف عن أبناء هشام وأبناء عمر؟

قال: «لقد رأيت في يوم واحد أحد ابناء عمر بن عبدالعزيز يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل الله، وأحد أبناء هشام يتسوَّل في الأسواق!».

يا الله، يا الله!.

ما أجمل قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾. [النساء: ٩].

فما أجمل أن نثق بكلام ربنا.

***

أيهما أكرم على اللّه؟!

بينما يسير أمير البصرة وجنوده في جنازةٍ إلى المقبرة؛ إذا به يرى.. جماعةً من الناس يَلْتَفون في حَلقةٍ وكأن على رؤوسهم الطير.

فنظر إلى مَن حوله ثم قال مندهشًا:

-ما هذا؟

فقالوا:

-إنه أبو يحيى (مالك بن دينار) يُذَكِّر الناس ويعظهم.

فنظر إلى أحد جنوده قائلًا:

- اذهب إلى مالك بن دينار وقل له يأتيني عند المقبرة.

وصلت الرسالة إلى مالك بن دينار فصاح بالرجل:

-ليست بي حاجةٌ لأذهب أنا إليه.. فإن كانت لديه حاجة فليأتِ هو إلينا!.

فرغ الأمير من دفن الميت، ثم ذهب هو ورجاله إلى حلقة مالك بن دينار فجلسوا، فلمَّا رآهم مالك سكت عن الكلام..

وطال سكوته...

قال الأمير:

- يا أبا يحيى ذَكِّرنا!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال مالك:

-ما نسيتَ شيئًا حتى أذكرك به!

قال الأمير:

-إذن حدِّثنا.

قال مالك:

-أمَّا هذا فنعم، قَدِمَ علينا أميرٌ من قبلك على البصرة فمات، فدفنَّاه في هذه الجبانة، ثم مات زنجيٌ فدفنَّاه بجواره، فو الله ما أدري أيهما كان أكرم على الله!.

فتعجب الأمير من جُرأة مالك، فقال الأمير:

- يا أبا يحيى، أتدري ما الذي جرَّأك علينا؟ وما الذي أسْكَتَنا عنك؟

لأنك لم تأكل من دراهمنا شيئًا.. أما والله لو أخذت من دراهمنا شيئًا ما اجترأت علينا هذه الجُرأة!.

قلتُ: لله درُّك يا أبا يحيى! ما أجرأك في الحق!

وما أصدق كلماتك! وما أبلغك في الموعظة !!

أخي..

حقًا: إنَّ الموت سيفٌ على رقاب الجميع.. لا يفرق الموت بين أمير وغفير، ولا عظيمٍ وحقير، ولا صغيرٍ وكبير.. الكل مقهورٌ بسيف الموت!

هل أبقى الموتُ ذا عزٍّ لعزته؟ أم هل نجا منهُ بالسُّلطانِ إنسانُ؟
لا والذي خَلقَ الأكوانَ من عدمٍ الكلُّ يفنَى فلا إنسٌ ولا جـــانُ

فلو كان أحد ناجيًا من الموت؛ لنجا منه حبيب الرحمن – محمد ﷺ– لقد قال له ربه:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾. [الزمر: ٣٠].

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾. [الأنبياء: ٣٤].

فالموت كأسٌ وكل الناس شاربه.. والقبر بيتٌ وكل الناس داخله.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾. [العنكبوت: ٥٧].

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ﴾. [الجمعة: ٨].

فكيف النجاة؟ وأين المفر؟

أخي...

إن كان الموت حقيقة لابد منها، فَلِمَ التناسي؟

ولم التغافل؟

كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – يقول:

«اليوم يقولون مات فلان وفلان.. وغدًا يقولون مات عمر!».

من الذي أنْسَانا الموت؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أموالنا؟!

أموالُنا لذوي الميراثِ نجمعُها ... وبيوتُنا لخرابِ الدَّهر نَبنيها

أهْلنا؟!

تَقاسمَ الأهْلُ مالي بعدما انْصَرَفُوا ... وَصَارَ وِزْرِي عَلى ظَهْرِي فَأَثْقَلَني
واستَبْدَلَتْ زَوجَتي بَعْلاً لها بَدَلي ... وَحَكَّمَتْهُ على الأَمْوَالِ والسَّكَنِ
وَصَيَّرَتْ وَلَدي عَبْداً لِيَخْدُمَه ... وَصَارَ مَالي لهم حلاً بِلا ثَمَنِ

قال النبي ﷺ: «**يتْبَعُ الميْتَ ثلاثَةٌ: أهلُهُ ومالُه وعمَلُه، فيرْجِع اثنانِ ويبْقَى واحِدٌ: يرجعُ أهلُهُ ومالُهُ، ويبقَى عملُهُ**». (متفقٌ عَلَيهِ).

أيها المسلم

تخيل معي أنك على فراش الموت.. وهذا ملك الموت يأتيك لقبض روحك، هل تظن أنه سيرق قلبه لحالك فلا يقبض روحك؟

هل سمعت أنه رَقَّ قلبه لأحد؟

فها هو الآن يتقدم ليقبض النَّفَس الأخير، فهذا شريط حياتك يمر أمام عينيك!

هذه خمور ومخدرات.. هذا كذب.. هذا نفاق.. هذا مكرٌ.. هذا خداع.. هذا لهوٌ.. هذا غناء.. ذنوب ومعاصي.. خطايا وآثام..

يا ويلي إنها النهاية!

أريد أيامًا.. أريد ساعاتٍ.. أريد دقائق أو ثواني..

وهنا يصرخ بأعلى صوته:

﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾. [المؤمنون: ٩٩].

لماذا يا عبدالله؟

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾. [المؤمنون: ١٠٠].

أشتهي أن أعمل صالحًا.

أشتهي أن أقول لا إله إلا الله.

﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾. [سبإ: ٥٤].

فهل تريد أن تكون ذاك الرجل؟ أم أنك تريد الخلاص؟

تريد النجاة؟.. إنَّ الخلاص والنجاة في يديك الآن.. فلماذا لا تنجو من الآن؟

العجب لنا!

كيف نتجرأ على الله وأرواحنا بيده؟! وكيف نستغفل رقابته والموت بأمره؟.

وقد رُوِيَّ أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال:

-من أنت؟

فقال ملك الموت:

- أنا من لا يهاب الملوك، ولا تُمنع منه القصور، ولا يقبل الرشوة..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال داود:

- فإذن أنت ملك الموت!

- قال: نعم

قال داود:

-أتيتني ولم أستعد بعد!

قال:

-يا داود، أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟

قال داود:

- مات

قال:

-أما كان لك في هؤلاء عبرةٌ لتستعد؟!

هُوَ المَوتُ مَا منهُ مَلاذٌ وَمَهرَبُ ... مَتى حُطَّ ذَا عَن نَعشِهِ ذَاكَ يَركَبُ
إِلى اللهِ نَشكُو قَسوَةً فِي قُلُوبِنَـــا ... وَفِي كُلِّ يَومٍ وَاعِظُ المَوتِ يَندِبُ

إلى الله نشكو قسوةً قد عَمَّت.. وغفلةً قد طَمَّت.. وأياماً قد طويت.. أضعناها في المغريات.. وقتلناها بالشهوات.. كم من قريب دفناه؟!

وكم من حبيب ودعناه؟! ثم نفضنا التراب من أيدينا وعدنا إلى دنيانا، لنغرق في ملذاتها! بل ربما ترى بعض المشيعين يضحكون ويلهون.. أو يكونون قد حضروا رياءً وسمعة.. بسبب الغفلة وقسوة القلوب.

فيا عبدالله...

تزودمن التقوى فإنـــك لا تـــــدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشَ إلى الفجرِ؟
فكم من صحيح مات مـــن غير علةٍ ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهرِ
وكم من صغارٍ يرتجى طولَ عمرهم ... وقدأدخلتأجسادُهم ظُلمةَالقبـــرِ
وكم من عروسٍ زينوها لزوجـــــها ... وقد نُسجت أكفانُها وهي لا تـــدري
وكم من ساكنٍ عند الصباح بقصره ... وعند المِسا قد كان من ساكن القبر!

أتدري ماذا يتمنى سكان القبور؟

مر النبي ﷺ بقبر فقال:

«-من صاحب هذا القبر؟ فقالوا: فلان. فقال: ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدها هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم».

(صحيح الجامع).

الله أكبر، الله أكبر!.

غاية أمنية الميت أن يُمدَّ له في أجله ليركع ركعتين يزيد فيها من حسناته ويتدارك ما فات من أيام عمره في غير طاعة.

فيـــا غافـــلًا عـــن العمـــل ... وغـــرَّه طـــــولُ الأمـــل
المـــوتُ يأتـــي بغتـــــةً ... والقـــبرُ صنـــدوقُ العمـــل

فاللهم اجعل صندوق أعمالنا كله خير!.

لما حضرت (محمدَ بن المنكدر) الوفاة بكى، قيل له:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ما يبكيك؟

قال:

-والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته، ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

فيا ليت شعري كيف تكون خاتمتنا؟!

وبم يختم الله أعمارنا وأعمالنا؟

***

أعرفك حق المعرفة

مر الأمير (المهلب بن أبي صفرة) على مالك بن دينار، وهو يتبختر في مشيته!

فقال له مالك:

- أما علمت أن هذه المشية تُكره إلا بين الصفَّين؟

فقال المهلب:

- أما تعرفني؟

فقال مالك:

-أعرفك أحسن المعرفة.

قال المهلب:

-وما تعرف مني؟

فقال مالك:

-أمَّا أوَّلك فنطفة مذرة، وآخرك جيفةٌ قذرة، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة!.

قال المهلب:

- الآن عرفتني حق المعرفة!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخي، لا يتكبر إلا من استعظم نفسه واستحقر غيره.. ولا يستعظم نفسه إلا من كان معجبًا مغرورًا.. ينظر إلى الناس وكأنه فوق جبل.. يرى الناس صغارًا.. ويراه الناس صغيرًا.. وهو في عين نفسه كبيرًا..

يستعظم نفسه ويستحقره الآخرون!.

أخي وحبيبي، لماذا التكبُّر على خلق الله؟

لأنك تمتلك القوة والجاه والسلطان؟

فاعلم أنَّ الله ملك الملوك، يؤتي المُلك من يشاء.. وينزع الملك ممن يشاء..

فكم من ملوكٍ وأمراء.. ما بين طرفة عين وانتباهتها قد ضاع مُلكهم .. وزال عزُّهم.. فذاقوا ذلًّا بعد عز.. وفقرًا بعد غِنى.. وضعفًا بعد قوة..

وإن شئت فاسأل التاريخ عن نبأهم.. يُخبرك بحالهم..

واعلم أنَّ المُلك لو دام لغيرك ما وصل إليك.. وكذلك لم يبق لك كما لم يبق لغيرك!

فإن كانت القوة والجاه والسلطان إلى زوال فعلام التبختُر والغرور؟

لماذا التكبر على خلق الله؟

لأنك صرتَ عالمًا!

فاعلم أن العلم محض فضل الله عليك..

وأفٍ لعلم يصنع من صاحبه متكبرًا!

وأي علمٍ هذا الذي لا يزيد صاحبه تواضعًا؟!

أخي...

إذا لم يزدك العلم خشية لله وذلًا وانكسارًا، وتواضعًا ورأفةً ورحمة بالناس..

فاعلم...

أنَّك واهم، وأنَّك لم تطرق أبواب العلم، وأنك يُخَيَل إليك أنك عالم ولست بعالم!..

ففتش في نفسك وأصلح عيوبك واسلك طريق العالم الربَّاني

فلماذا التكبر على خلق الله؟

لأنك صرت غنيًا؟

اعلم: أنَّ المال عاريةٌ عندك، استودعك الله إياها؛ لينظر ماذا تصنع؟

فلربما سلبك الله نعمة المال فصرت فقيرًا، ولربما كان المال سبب هلاكك ودمارك، فلاتكن كقارون جحد نعمة الله عليه

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾. [**القصص** : ٧٨].

فماذا؟

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾. [**القصص** : ٨١].

وكن كنبي الله سليمان حينما قال:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾. [النمل: ٤٠].

هل نفع المال أبا لهب؟

قال تعالى:

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾. [المسد: ٢].

وماذا يُفيدك المال إذا غضب عليك ربك؟ وماذا يفيدك المال إذا مقتك الناس؟

فاحذر...

أن تسقط من عين الله.. ومن ثَمَّ تسقط من عين الناس، إنَّ المال إن لم يزدك تواضعًا، كان شرًا ونقمة عليك..

فالمُلك ملك الله، والمال مال الله..

فلم التكبر؟

فيا عبدالله:

لماذا تتكبر على خلق الله؟ لأن الله قد حباك بالجمال؟

اعلم: أنه لا فضل لأبيض على أسود، ولا أحمر على أبيض.. إلا بالتقوى..

فإياك.. أن تظن أنَّ الجمال معيار للتفاضل، فلو كان الأمر كذلك..

لكان بلال (العبد الحبشي) في النار؛ ولكنه من أهل الجنة بشهادة النبي..

وكان (أبو لهب) من أهل الجنة؛ ولكنه من أهل النار بشهادة القرآن، فمتى كان الجمال معيارًا للتفاضل؟ فإياك أن تتكبر بجمالك أو تغتر به، فلربما ابتلاك الله بمرضٍ جلدي جعل الناس يفرون منك فرار الفريسة من الأسد، فقد ذهب بهاءً وجهك.. وجمال بشرتك.. وصار الناس يبتعدون عنك.. فلم التكبر؟

يا مظهرَ الكبرِ إعجابًا بصورتِـــه ... انظرْ خلاك فإنَّ التنَ تثريـــبُ
لو فكَّرَ الناسُ فيما في بطونِـــهمُ ... ما استشعرَ الكبرَ شبانٌ ولا شيبُ
هل في ابنِ آدمَ مثلُ الرأسِ مكرُمةً ... وهو بخمسٍ من الأقذارِ مضروبُ
أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحُها سهـــــكٌ ... والعينُ مُرمِصةٌ والثغرُ ملعـــوبُ
يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غدًا ... أقصرْ فإنَّك مأكولٌ ومشـــــروبُ

فيا أيها المتكبرون، أفيقوا أيها المغرورون، أنسيت أصلك؟

إنَّ أصلك من الطين وإلى الطين ستعود، إن أولك نطفةٌ قذرة.. وآخرك جيفة نتنة.. وتحمل في أحشائك العذرة.. فلم التكبر؟ ولم الغرور؟

فالعجب لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر؟ وكيف يتعاظم؟!

رويدًا رويدًا أيها المتكبر..

إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا..

وكأني بالأرض من تحت قدميك تصرخ وتقول:

رفقًا بي أيها المتكبر، أنت اليوم تسير مختالًا فوق ظهري، وغدًا تكون في بطني، فلم التعالي والغرور؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكأني بتراب الأرض يقول: لماذا تنتفخ وتنتفش؟

فأنت يومًا من الأيام ستكون مثلي، ذرات تراب!.

ألم تعلم أنَّ بعض ذرات التراب كانت يومًا من الأيام ملوكًا من ملوك الأرض.. فصارت اليوم حبات تراب يُلْقي بها الناس يمنة ويسرة ؟!

أيها المتكبر، ألم تذهب يومًا إلى القبور؛ لترى المتكبرين أمثالك؟ ألم تر كيف تحولت أجسامهم إلى جِيَف نتنة؟! ألم تفكر في المتكبرين من قبلك إلى أين صاروا؟

أين فرعون.. وهامان؟ أين النمرود بن كنعان؟

أين قارون؟

أين عاد الذين قالوا: مَن أشدُّ منَّا قوة؟

« **النَّاسُ بنو آدمَ، وآدمُ خُلِق من ترابٍ** ». (الترغيب والترهيب)

فإلى متى التكبر والغرور؟ أتظن أنَّ العالم خُلق من أجلك ولخدمتك؟

أتظن أنَّ الناس كلهم عبيدك؟ أتُريد أن يحني الناس رؤوسهم إليك؟

أتُريدهم أن يسيروا دومًا في ركابك؟

على ماذا التكبرُ والغرورُ ... وهذي الأرضُ تملؤها القبورُ
على ماذا التعالي ياصديقي ... أأنتَ البحرُ أمْ أنتَ الصخورُ
كأنَّك قَدْ نَسيتَ أيا رفيقي ... بأَنَّ الكونَ يملُكُهُ الغفورُ
ألمْ تَرى كمْ فَقَدنا منْ أُناس ... لهمْ نَخلٌ وأسوارٌ ودورُ
وكم فارقتَ منْ أهلٍ وَخِلٍّ ... أتاهمْ بغتَةً قَدَرٌ يَدورُ

أتَعلَم أيها المتكبر من قدوتك؟

إنه إبليس!

فأول ذنب عُصيَّ الله به في السماء هو التكبر، حينما استكبر إبليس أن يسجد لآدم لأنه يَرى أنه أفضل منه.. أترضى أن يكون إبليس قدوتك؟

فيا عبدالله:

إياك.. ثم إياك.. ثم إياك والكِبر!

لا تتكبر على الناس.. فلست أفضل منهم في شيء.. فأنت تأكل كما يأكلون، وتشرب كما يشربون، وتنام كما ينامون، وتتغوَّط كما يتغوَّطون..

فأنت بشرٌ مثلهم من دمٍ ولحم، وتمرض وتضعف وتموت مثلهم، فعلام التعالي والغرور؟

عزيزي القارئ، تعالَ بنا لنسبح في الفضاء..

تخيَّل معي أننا في رحلة إلى الفضاء، وأنت في سفينة الفضاء تنظر إلى هذا الكون، أريدك أن تلقي نظرةً على كوكب الأرض من الخارج، كيف تراه؟ ستراه وكأنه حبة رمل في وسط صحراء شاسعة، أو تراه وكأنه ذرَّةٌ من الذرَّات في هذا الكون الفسيح!.

هل تعلم أن هذه الذرة يتقاتل عليها الناس؟

هل تعلم أن هذه الذرة يمشي عليها الإنسان مختالًا فخورًا حتى كادت الأرض أن تصيح كفاك يا عبدالله؟!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل تعلم أن هذه الذرَّة يتكبر فيها الإنسان حتى قال له ربه:

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾. [**الإسراء : ٣٧**].

تواضع لله.. فمن تواضع لله رفعه؟

فانظر يرحمك الله، فهذا عمر بن عبد العزيز.. أتاه ليلةً ضيوف.. وكان يكتب .. فكاد السراج يُطفأ.

فقال الضيف:

- أقوم إلى السراج فأصلحه؟

فقال عمر:

- ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه.

قال الضيف:

- أفأنبه الغلام؟

فقال عمر:

- هي أول نومةٍ نامها.

فقام وملأ المصباح زيتًا.

فقال الضيف:

- قمت أنت يا أمير المؤمنين؟

فقال:

- ذهبتُ وأنا عمر، ورجعتُ وأنا عمر، ما نقص مني شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعًا.

وأخيرًا، أهدي إليك هذه القصة لتكون لك عبرةٌ في نهاية الكِبر..

يروي صاحب القصة قصته فيقول:

«خرجت أبحث عن لقمةٍ أسكت بها جوعي.. فمن شدة الجوع شعرت أن أمعائي تتقطع ..

فمررت بالسوق وإذا برجلٍ تبدو عليه ملامح النعمة والثراء..

فتقدمت إليه قائلا له:

-إني غريبٌ عن هذه البلدة، ولقد اشتدَّ بي الجوع.. فلو ساعدتني بدرهم أشتري به رغيفًا.

نظر إليّ نظرةً كلها حنقٌ وغضب، ثم صرخ في وجهي:

-اغرب عن وجهي فإني أكثر ما أكره أنت وأمثالك من الفقراء والمتسولين! كيف أعطيك دراهم أنا شقيت وتعبت في جمعها؟ هيا اذهب من هنا.. وإلا أوجعتك ضربًا!.

نظرتُ إليه ثم خرجتُ من عنده هائمًا على وجهي، أدعو الله عزَّ وجل أن يغنيني عن الحاجة والسؤال، وعاهدتُ نفسي ألَّا أسأل أحدًا أبدًا ولو متُّ جوعًا... غابت الشمس وجاء الليل يجرُّ أثوابه، وأخذتُ أبحث عن مكانٍ أقضي به الليل عسى الله أن يُفرج ما بي من كرب، وإذا بمكان عبارة عن خرابة.. فقلت لنفسي: أقضي الليل هنا.. وانزويت في زاوية المكان.. أحاول أن أنام.. وكيف ينام مَن هو جائع ؟ ولكن شدة التعب غلبت شدة الجوع.. فأغمضتُ عَيْنَيَّ .. واستسلمت لسلطان النوم..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفجأة، شعرت بهزة شديدة!.. وإذ برجل يهزني..

- قم.. استيقظ.. قم هيا تعالَ معي!.

استيقظت فزعًا، وقلت له:

- مَن أنت، وماذا تريد؟!

قال:

-لا عليك.. تعالَ معي.. ولا تُكثر الكلام..

ألا تريد أن تأكل طعاما لذيذاً.. وتنام على فراش وثير؟

قلت:

-أتمزح معي يا رجل.. كيف يتحقق ما قلته لي؟!

قال:

-تعال وسترى بنفسك.

سرت معه.. وبعد مسافة قصيرة وصلنا إلى قصر كبير.. تحوطه الأشَجار من كل جانب، فلمَّا دخلتُ إلى بهو القصر.. وإذا بالرجل نفسه الذي قابلته في السوق يقف وسط القصر، فعرفته وهو لي مُنكر.. لم يعرفني، فسأل قائلًا:

-أين وجدته؟

- وجدته بالقرب من القصر.

- هيا بسرعة أدخلوه الحمام ثم ائتوا به هنا بسرعة.

وبعد أن خرجتُ من الحمام ولبست الملابس النظيفة الزاهية، جئت إلى الرجل فقال لي:

-اسمع ما أقوله لك.. لقد طلقت زوجتي ثلاث طلقات بائنة، ولا أستطيع ردها إلا بعد أن تعقد على رجل آخر.. وأنت الرجل الآخر.. فاعقد عليها.. وغدًا صباحا تطلقها.. وسوف أُكافئك مكافأةً كبيرة على عملك هذا.

ولم أتردد؛ بل كان جلُّ تفكيري في الطعام.. فأنا أكاد أصرخ من شدة الجوع..

فقلت له:

- كما تشاء.

وعقدتُ وأُدخلت غرفةً فسيحة في وسطها سرير، عليه فراشٌ وثير

وطاولةٌ عليها طبقٌ كبير مغطىً بقطعةٍ من القماش.. رفعت الغطاء وإذا هو طعامٌ لذيذ.. دجاجٌ وأرزٌ وفاكهة، فبدأت باسم الله.. وأخذت آكل، وبعد أن شبعت حمدت الله، وسالت دمعتي، وتذكرت رحمة الله فأنا قبل قليل كنت جائعًا؛ والآن أمامي الطعام .. آكل منه ما شئت.. فلك الحمد يارب ولك الشكر..

وجلست أذكر الله وأسبِّحه.. وأنا على هذه الحالة فُتِح باب الغرفة ودخلتْ منه امرأةٌ جميلة كأنها فلقة القمر.. حسناء هيفاء..

فقلتُ:

-مَن أنت؟!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالت:

-أنا زوجتك التي عقدت عليها قبل قليل، وأنا أريد منك طلبًا أرجو أن تنفِّذه لي.

قلت:

-ما هو فأنا أريد أن أردَّ لكم الجميل؟

قالت:

-أرجو منك ألَّا تطلقني، وأن تُبقيني زوجةً لك؛ فأنا لا أريد أن أعود لزوجي السابق؛ فهو إنسانٌ شرير لا يرعى العشرة، ولا يخاف من الله..

لقد طلقني عدة مرَّات، وفي كل مرة يأتي برجلٍ مثلك ويعطيه دراهم فيعقد عليَّ ثم يُطلقني.. وهكذا أخذ يتلاعب بحدود الله.

قلت لها:

-ولكني رجل فقير، لا أملك إلا هذه الملابس التي ألبستموني إياها.. فكيف تعيشين معي؟

قالت:

-أنا صاحبة هذا القصر، وكل ما يملكه زوجي السابق مالي أنا؛ فهو لا يملك أي شيء، فإذا رضيتَ صار كل شيء لك، وعشتَ معي في هذا القصر.. فأنت يبدو أنك رجلٌ طيب.

واتفقنا وقضينا ليلتنا كأسعد زوجين.. وفي الصباح، جاء زوجها السابق يزمجر قائلًا:

- هيا طلقها بسرعة.

قلت:

-لن أطلقها؛ بل سأبقي عليها فهي زوجتي.. وأنت اخرج من هنا.

قال:

-ماذا تقول، أجننت يا رجل؟!

قلت:

-اخرج من هنا بسرعة قبل أن آمر الخدم بطردك مثل الكلاب.

وخرج يجر أذيال الحسرة والندامة؛ فلقد فقد كل شيء حتى كرامته..

وقبل أن يغادر قلت له:

-هل تعرفني؟

قال:

- لا، مَن أنت؟!

قلت:

-أنا الفقير السائل الذي جئتك بالأمس أطلب منك صدقةً، ولكنك طردتني ونهرتني.. وبفعلتك القبيحة وبخلك حوَّل الله تعالى بفضله وكرمه كل هذا إليَّ.

نظر إليَّ نظرةً كلها بؤس وذلة، ثم نكّس رأسه وخرج غير مأسوفٍ عليه».

وهكذا بعد أن كان فقيرًا معدمًا صار بإذن الله تعالى غنيًا ثريًا، وذلك البخيل الشرير قضى عليه بخله، وأذله غروره وكبرياؤه على الناس، وحطمته قسوته وجبروته والجزاء من جنس العمل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتخطى القتلى

استطاع (عبدالله بن محمد بن علي)، الملقب بـ(السفاح العباسي) أن يقضي على دولة بني أمية ويؤسس الدولة العباسية..

تتبع الأمويين فقتل منهم خلقًا كثيرًا، استولى على قصورهم وأموالهم.. أجبر العلماء على أن يوافقوه على ما صنعه بالأمويين وأن يطعنوا فيهم..

فالويل ثم الويل لفقيهٍ أو عالم أنكر عليه ذلك، فحاله كحال كلِّ طاغية يريد أن يتخذ من الدين ستارًا علَى جرائمه..

فماذا صنع هذا السفَّاح؟

لقد سمع عن (الأوزاعي).. عالم زمانه.. الفقيه العالم الذي ذاع صيته في الآفاق وملأت محبته قلوب المسلمين.. أراد السفاح أن ينتزع اعترافًا من الأوزاعي أنَّه كان محقًا فيما صنعه من قتلٍ وسلبٍ للأموال..

ظنًا منه أن الأوزاعي لن يجرؤ على مخالفته، فلما دخل الأمير (عبدالله بن علي)، عم السفاح، دمشق وقد أسرف في قتل أمراء بني أمية.. فلما فرغ من قتلهم، أرسل في طلب الأوزاعي؛ ولأن عبدالله بن علي كان غشومًا سفاكًا للدماء، حاول الأوزاعي أن يتهرب من لقائه، فتغيب عنه ثلاثة أيام،

فلما أُحْضِر الأوزاعي وأَذِن له في الدخول عليه إذ به يرى ما يشيب له الولدان..

لقد جلس عبدالله بن علي على سريره، والتف الوزراء من حوله.. وصَفَّ حرسه وجنده صفين، عن يمينه وشماله، وأمرهم أن يقفوا شاهري سيوفهم، وأمامه قتلى أمراء بني أمية لم تجف دماؤهم!..

فلمَّا أمِرَ للأوزاعي بالدخول كان يتخطى القتلى، وكان يسير بين الصفين من الحرس والجنود، وهم شاهرو سيوفهم ؛ حتى وصل إلى الأمير، ألقى الأوزاعي عليه السلام فلم يرد، وفي يده خيزرانة ينكت بها في الأرض،

تُرى لماذا صنع الأمير هذا المشهد الرهيب ؟

ليبث الخوف والرعب في قلب الأوزاعي، ظن أنَّه حينما يرى الدماء وبريق السيوف ستخور قواه وتنكسر شوكته وتقل عزيمته..

فهل نجح الأمير في ذلك؟ وماذا كان رد الأوزاعي؟ وكيف تعامل مع الموقف؟

هذا ما ستعرفه حينما تعلم أنَّ الأمير أخذ ينكت بالخيزرانة؛ ثم رفع رأسه ويبدو على قسمات وجهه الغضب، قال الأمير:

– يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة – يقصد بني أمية– أجهادٌ ورباطٌ هو؟

وهنا لم يشك الأوزاعي أنَّه مقتول، فباع نفسه لله، واستبسل للموت..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الأوزاعي:

- أيها الأمير، قال رسول الله ﷺ:

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

فكأن الأوزاعي يقول له «الله أعلم بنيتك!».

فوقع كلام الأوزاعي عليه كالصاعقة، فما كان يتوقع ذلك، فاشتد غضبه، وأخذ ينكت بالخيزران أشد مما كان ينكت، فقال الأمير:

- يا أوزاعي، ما تقول في دماء بني أمية؟

قال الأوزاعي:

- لا تحل لك!

قال الأمير:

- ولِمَ، ويلك؟!

قال الأوزاعي:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ».

فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت، وجعل من حوله يعضون أيديهم، ويقبضون على قبضات سيوفهم..

فقال الأمير:

- ويلك، أليست لنا الخلافة وراثةً من رسول الله ﷺ، قاتل عليها علي بن أبي طالب بصفين؟

قال الأوزاعي: فاستسلمت للموت وقلت لأصدقنه!.

-لو كانت الخلافة وراثةً من رسول الله ﷺ، ما ترك علي بن أبي طالب أحدًا يتقدمه، وما رضي بالحَكَمين.

قال الأمير:

-ما تقول في أموال بني أمية، أحلالٌ لنا؟

قال الأوزاعي:

- إن كانت لهم حلالًا، فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حرامًا، فهي عليك أحرم!.

وانْتَظَرتُ أن تُقطع رأسي..

فقال الأمير:

-لقد هممت أن أوليك القضاء.

فاعتذر الأوزاعي عن توليه القضاء، فنكَّس الأمير رأسه ثم أشار إليه بالانصراف..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول الأوزاعي: فانصرفت وجعلت لا أخطو خطوةً إلا قلت إنَّ رأسي يقع عندها.

وإنِّي أطرح سؤالًا عليك عزيزي القارئ، لعلي أجد عندك الإجابة، لماذا لم يقتل الأمير الإمام الأوزاعي؟

فأيُهما يملك القوة والسلاح والجند والجبروت؟ هل كان يملك الأوزاعي قنبلةً ذرية فيهابه الأمير؟ أم أنه يملك رؤوسًا نووية فيهابه الجميع؟

لقد كان الأوزاعي في الشام مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا، أمره أعزُّ عندهم من أمر السلطان، فقد أراد بعض الأمراء أن يبطش بالأوزاعي فقال له أصحابه: «دعه عنك، فوالله لو أمر الشاميين أن يقتلوك لقتلوك!».

وَلَمَّا مَاتَ جَلَسَ عِنْدَ قَبْرِهِ بَعْضُ الأمراء، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يا أوزاعي، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ مِنَ أمير المؤمنين!.

تُرى لماذا يهاب الملوك والأمراء الأوزاعي؟ لماذا صار في أعينهم كالأسد لا يستطيعون الاقتراب منه؟ وبم نال هذه المكانة عند العامة والأمراء والسلاطين؟

إن الأوزاعي لّما خاف من الله، جعل الله مهابته في القلوب، فهابه الجميع، وجعله في أعين الناس أرفع شأناً من الأمراء والسلاطين.

***

الخوف من اللّه

قال يحيى بن معاذ الرّازي: «على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق».

أخي الكريم، مَن خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومَن لم يَخَفْ الله أخافه الله من كل شيء، فمن خاف الله لم يضره أحد، ومَن خاف غير الله لم ينفعه أحد..

لقد خاف الأوزاعي من الله فأخاف الله منه الملوك والأمراء، فأين نحن من الخوف من الله؟ وهل نخاف من الله ونخشاه؟ أم أننا نَدَّعي ذلك؟

وكيف يسكن الخوف من الله قلبك؟

إذا أردت ذلك..

فلتعلم...

أنَّ الله يراقبك في السر والعلن.. فلا يراك إلا حيث أمرك، ولا يفتقدك إلا حيث نهاك.. وأنَّه ينظر إليك في الخلوات، وأنَّه أقرب إليك من حبل الوريد، وقد وكَّل بك مَلكين يُحصيان عليك أنفاسك، وسيحاسبك على النقير والقطمير؛ بل بمثاقيل الذر، فلا يُغادر كتابك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها..

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾. [**الكهف : ٤٩**].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وستقف بين يديه وحدك.. ليس بينك وبينه ترجمان، فياله من موقفٍ ما أصعبه! فكيف بك وأنت تترقب أيؤمر بك إلى الجنة أم إلى النار؟

وكيف إذا أُمِرَ بك إلى النار؟ هل تقوى على عذابها؟

فإنها سوداء مظلمة، وقودها الناس والحجارة، وحرُّها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، طعامها الزقوم والغسلين، وشرابها من حميم، فراشها من نار، سرابيلهم من قطران، عليها ملائكةٌ غلاظٌ شِداد، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون..

فيا رب سلم!

كيف لا نخاف من الله؟

وقال تعالى:

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾. [السجدة: ١٣].

وقد أخبرنا أننا واردون على النار.. ولم يُخبرنا أننا ناجون منها!

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾. [مريم: ٧١].

فأين المفر، وكيف الخلاص؟ وقد قال تعالى:

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]

هل أمِنْتَ يا عبدالله أن لا تَزِل قدمك على صراط جهنم فتهوي في قعرها؟

هل أمنت أن يطرحك الله غدًا في النار ولا يبالي؟ فكيف لا نخاف من الله؟

وقال تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ . [الزمر: ٦٧].

فهو الذي يطوي السموات بيمينه ويقول:

«أنا الملك، أنا الملك، أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»

فكيف لا نخاف من الله وقد أنذرنا فقال:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾. [البروج: ١٢].

وحذرنا فقال:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾. [آل عمران : ٣٠].

أبعد إنذار الله إنذار؟! أبعد تحذير الله تحذير؟! فكيف لا نخاف من الله؟

وقد أسبغ علينا نعمه؟! فماذا لو سلبها منا ؟! فَرِزْقُك بيديه .. فكيف إن منعك رزقك؟ وأنفاسك بيديه .. فكيف إن حبس عليك أنفاسك؟ وكيف إن جعل البول يحتبس في جسمك؟ كيف بك إن منعك الطعام والشراب والنوم؟

كيف بك إذا ابتلاك بمرض عجز عنه الأطباء؟ كيف بك إذا أطبق سماءه على أرضه؟ وكيف بكً إذا أمر السماء أن تمطر حجارة؟ أو أمر الأرض أن تنشق فتبتلعك؟ ألا تشعر حينها أنك عبدٌ ضعيف، وأن خوف الله أصبح يملأ قلبك؟.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عبد الله، تذكَّر ضعفك وليسكن الخوف من ربك في قلبك، فالقلب الذي خلا من الخوف من الله قلبٌ خرب تتلاعب به الأهواء.. فمتى زال الخوف من قلبك فقد ضللت الطريق، فالخوف من الله كالملك لا يسكن إلا مكانًا انتقاه.. فلا ينتقي الخوف إلا قلوب المتقين!

فإذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات، وطرد الدنيا عنه.. وامتلأ حبًا لله.. وأطاع الله في كل ما أمر، وانتهى عن كل ما نُهى عنه..

فلا ترى القلب إلا خاشعًا، ولا العين إلا باكيةً، ولا الجوارح إلا طائعة..

فانظر يرحمك الله إلى من سكن الخوف من الله قلوبهم.. ماذا صنع بهم؟

فهذا (يوسف الصديق)، شابٌ في ريعان شبابه، تراوده امرأة العزيز عن نفسه، وغلَّقت الأبواب، وتهيأت له، فامتنع أن يرتكب الفاحشة.. وقال معاذ الله!

تُرى لماذا امتنع يوسف عن ارتكاب الفاحشة مع أنه شابٌ في كامل قوته و شبابه؟ إنَّه الخوف من الله.. وهذه (مريم ابنة عمران) في خلوتها، يدخل عليها(جبريل) عليه السلام في هيئة رجل كأجمل ما يكون، فظنت أنَّه رجلٌ من بني آدم يريد الفجور بها.. فماذا قالت؟

قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾. [مريم: ١٨].

فما الذي جعل مريم عليها السلام تقول هذا وهي في خُلوتها ولا أحد من البشر يراها؟ إنَّه الخوف من الله..

وهذا النبي ﷺ يسأله أبوبكر:

-يا رسول الله أراك شبت؟

فقال ﷺ:

«شيَّبتني هودٌ والواقعةُ والمُرسلاتُ وعمَّ يتساءلونَ وإذا الشَّمسُ كُوِّرت».

فلماذا شيب القرآن رسول الله؟ وأين نحن من تدبُّر كلام الله؟

ويا ترى لماذا كان النبي يقوم الليل حتى تتفطر قدماه؟

إنَّه الخوف من الله..

وهذا (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه مرَّ على طيرٍ قد وقع على شجرةٍ فقال:

«طُوبى لك يا طيرُ، تطير فتقع على الشجر، ثم تأكل من الثمر، ثم تطير ليس عليك حسابٌ ولا عذاب! يا ليتني كُنت مثلك؛ والله لوددتُ أني كنتُ شجرةً إلى جانب الطريق فمر عليَّ بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرًا ولم أكن بشرًا!».

أخي ، ما الذي حمل أبا بكر أن يتمنى أن يكون طيرًا أو شجرة ليس عليه حساب؟.

وهذا (عُمر) رضي الله عنه يقول:

«يا ليتني كُنتُ كبشًا، أهلي سمنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت كأسمن ما يكون، زارهم بعض مَن يحبون؛ فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواءً وبعضه قديدًا، ثم أكلوني ولم أكن بشرًا!»

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويأخذ مرة تبنةً من الأرض فيقول: «ليتني هذه التبنة ، ليتني لم أكن شيئًا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت منسيًا».

فلما قُتِلَ ودماؤه تنزف يقول لولده عبدالله:

«ضع رأسي على التراب، ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي، لو أنَّ لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه».

فما الذي جعل عمر يقول مثل هذا الكلام وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة؟

وهذا (عثمان) رضي الله عنه، كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبلَّ لحيته، وكان يقول:

«لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصيرُ»!.

فلماذا يريد عثمان أن يكون رمادًا؟ وعندما يقول هذا الكلام فماذا نقول نحن؟

قال (المغيرة بن حكيم) رحمه الله: قالت لي (فاطمة بنت عبد الملك):

«يا مغيرة.. قد يكون من الرجال مَن هو أكثر صلاةً وصيامًا من عمر -ابن عبد العزيز- ولكني لم أرَ من الناس أحدًا قط كان أشد خوفًا من ربه من عمر، كان إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه.. ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع».

وهذا (سفيان الثوري) رحمه الله يقول:

«والله لقد خفت من الله خوفًا أخاف أن يطير عقلي منه!»..

وهذا (منصور بن المعتمر)، كان كثير الخوف من الله و البكاء من خشيته، إذا رأيته قلت هذا رجلٌ أصيب بمصيبة، ولقد قالت له أمه:

-ما هذا الذي تصنع بنفسك، تبكى عامة الليل، لا تكاد أن تسكت، لعلك يا بنيّ أصبت نفسًا؟! أو قتلت قتيلًا؟.

فقال:

-يا أماه أنا أعلم بما صنعت نفسي!.

أخي، ماذا لو خِفت من أحد، حتماً ستهرب منه، فكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله عز و جل فإنَّك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هاربٌ من ربه إلى ربه!.

والعجب لك يا ابن آدم، فلو خفت من النار كخوفك من الفقر.. لنجوت منها!.

واعلم أنه ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يُعَذب عليه، فلا يُعد خائفًا مَن لم يكن للذنوب تاركًا، وهذا ما وصفه (الضحاك) للخائفين فقال:

«الخائفون الذين صدقوا المخافة من الله، قلوبهم من الخوف قرحةٌ، وأعينهم على أنفسهم باكيةٌ، ودموعهم على خدودهم جاريةٌ، يقولون لا نفرح والموت وراءنا، والقبور أمامنا، والقيامة محشرنا، وعلى جهنم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طريقنا، وعلى الله تعالى عرضنا، وعلى الصراط جوازنا بأعمالنا».

فهل من مشمرٍ إلى الله؟ وهل من خائف من مولاه؟ فأين القلوب التي ذلت لعزة الجبروت وخشعت لصاحب الملكوت؟

وصيتي إليك: تَعَرَّفْ على الله، فمن كان لله أعرف فهو له أخوف..

ومن كان بالله أعلم فهو له أخشى

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾. [فاطر: ٢٨].

تعرف على عيوب نفسك، ولا تستهن بذنبك؛ فإن المؤمن كما قال ابن مسعود:

«إنَّ المؤمنَ يرَى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ يرَى ذنوبَه كذبابٍ وقع على أنفِه قال به هكذا، فطار»..

بَكَيْتُ عَلَى الذُّنُوبِ لِعِظَمِ جُرْمِي ... وَحَقٌّ لِكُلِّ مَنْ يَعْصِي الْبُكَاءُ
فَلَوْ كَانَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ هَمِّي ... لأسبلت الدُّمُوعَ بِهَا دِمَاءُ

***

هاربٌ من القضاء

لم يهرب من القضاء لأنه قاتل، أو لأنه سارق، أو لأنه زانٍ، أو لأنه مدمنٌ سِكِّير، فلا تعجب إن قلت لك أنه أعلم أهل الأرض في زمانه!

فهذا ليس كلاماً أدَّعِيه؛ ولكنها شهادة العلماء فيه..

قال الفضيل بن عياض عنه: «إنه أعلم من أبي حنيفة!».

قال يحيى القطان: « إنه فوق مالك في كل شيء!».

قال الشافعي: «ما رأيت بالكوفة رجلًا أتبع للسنة، ولا أود أني في مسلاخه من هذا الرجل».

قال عنه أحمد بن حنبل: «إنه الإمام ولا يتقدمه أحد في قلبي!».

قال عنه بشر الحافي: «إنه في زمانه، كأبي بكر وعمر في زمانهما!».

قال عنه شعبة بن الحجاج: «إنه أمير المؤمنين في الحديث، ساد الناس بالورع والعلم».

لقد سأل الخليفة العباسي (أبو جعفر المنصور) عن عالمٍ يوليه القضاء، فدلوه عليه وقالوا إنه أعلم أهل الأرض في زمانه .. فطلبه المنصور ليتولى القضاء؛ لكنه رفض! فطلبه مرارًا ولكنه رفض، بل فرَّ هاربًا من الكوفة إلى مكة، وينتقل هاربًا من بلدٍ إلى بلد؛ حتى لا يتولى القضاء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جعل المنصور جائزة عشرة آلاف لمن يدله عليه، وفَضَّلَ هذا العالم أن يعيش شريدًا طريدًا ولا يتولى القضاء للمنصور، حتى مات المنصور.

إذن فلماذا يهرب من القضاء؟ ولماذا يُعَرِض نفسه لغضب الخليفة العباسي المنصور؟ وما أدراك ما المنصور؟ إذا كنت لا تعرفه فسل التاريخ عن ظلمه وجبروته، فيا ترى مَن هذا الذي يقف في وجه المنصور؟ ولماذا؟

إنَّه العالم الرباني (سفيان الثوري) فمن هو سفيان الثوري؟

وما هي قصته مع الصدع بالحق؟..

هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب.....الثوري.

ولد بالكوفة سنة ٩٧ هـ في خلافة (سليمان بن عبد الملك)، والده (سعيد بن مسروق) المحدث الثقة، كان والده فقيرًا لانشغاله بطلب الحديث.

قالت أم سفيان لولدها:

«اطلب العلم وأنا أكفيك بمِغْزَلي!».

ثم حذرته فقالت:

«يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادةً في خشيتك وحلمك ووقارك؟ فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك».

فيالها من أمٍ ما أعظمها!

تعمل بالغَزل وتقدم لولدها نفقة الكتب والتعلم، ثم تدله على العلم النافع..

أخذ سفيان وصية أمه وعضَّ عليها بالنواجذ، فكان كلما تعلم العلم عمل به؛ حتى صار من العلماء العاملين الذين يشار إليهم بالبنان، وذاع صيته في كل مكان، فصار إمام زمانه بعلمه وتقواه؛ حتى

قال عنه الذهبي أنَّه:

«رأسٌ في الزهد والتأله والخوف، رأسٌ في الحفظ، رأسٌ في معرفة الآثار، رأسٌ في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين».

وأزيد فأقول: ورأسٌ في الجهر بالحق.

يقول شجاع بن الوليد: «كنت أحج مع سفيان الثوري، فلا يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا».

ويقول الثوري رحمه الله :

«إني لأرى المنكر فلا أتكلم، فأبول دمًا!»

سبحان الله، إذا لم يستطع أن ينكر المنكر يبول دمًا!

فالثوري كالزهرة الطيبة لا تستطيع أن تكتم أريجها، فهو لا يداهن في الحق ملكًا أو رعية ، أميرًا أو أجيرًا، كبيرًا أو صغيرًا، قريبًا أو بعيدًا، غنيًا أو فقيرًا.. فأين أنت يا سفيان من زماننا؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكيف لو رأيت المنكرات التي ملأت علينا البر والبحر؟! فياله من أسد من أسود الحق! ويا تُرى كان جريئًا في الحق أمام أمراء زمانه أم ماذا؟

هذا ما ستنطق به السطور القادمة ..

***

أعيانا فِرارًا

الثوري يطوف بالكعبة، فإذا برجلٍ يضربه على عاتقه، فنظر الثوري خلفه ، فإذ هو الأمير أبو جعفر المنصورً، نظر أبو جعفر إلى الثوري وقال له:

-عظني أبا عبد الله !

فقال الثوري:

-وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت؟

قال المنصور:

- فما يمنعك أن تأتينا؟

قال الثوري:

- إن الله نهى عنكم، قال تعالى :

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.

فأخذ أبو جعفر بتلباب الثوري، وحوَّل وجهه إلى الكعبة وقال له:

-برب هذه البنية أي رجل رأيتني؟

قال الثوري:

- برب هذه البنية، بئس الرجل رأيتك!

وأطلق يده، فنظر أبو جعفر إلى أصحابه فقال لهم:

-ألقينا الحَبَّ إلى العلماء فلقطوا، إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فِرارًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا أطأ مالا أملك ولا تملك

دخل سفيان الثوري على أبي جعفر المنصور، فوقف أمام أبي جعفر يعظه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر...

فقال المنصور له:

- ها هنا يا أبا عبدالله ، إليَّ إليَّ ، ادنُ مني.

فقال الثوري:

- إني لا أطأ - بقدمي- ما لا أملك ولا تملك!.

فقال أبو جعفر:

- يا غلام، ادرج البساط، وارفع الوطاء.

فتقدم سفيان حتى صار بين يديه، ثم جلس على الأرض وهو يقول:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾. [طه: ٥٥].

فدمعت عينا أبي جعفر ثم تكلم سفيان بدون أن يستأذن فوعظ وأمر ونهى وذكر، وأغلظ في القول، فاندهش الجميع من كلام سفيان وشدته على أبي جعفر، فأبو جعفر هو أبو جعفر يبطش في لمح البصر!

فنظر الحاجب إلى سفيان غاضبًا وقال له:

-أيها الرجل أنت مقتول !!

فنظر إليه سفيان بثقةٍ وقال له:

-إن كنت مقتولًا فالآن!.

ثم نظر سفيان إلى أبي جعفر وقال له:

-فما تقول أنت يا أمير المؤمنين فيما أنفقت من مال الله ، ومال أمة محمد بغير إذنهم؟!

قد قال عمر في حجةٍ حجها، وقد أنفق ستة عشر دينارًا هو ومن معه، لقد أجحفنا بيت المال..

قال رسول الله ﷺ : « **رُبَّ متخوضٍ في مالِ اللهِ ومالِ رسولِ اللهِ فيما شاءت نفسه، له النارُ غدًا**».

فقال أبو عبيدة الكاتب:

- أمير المؤمنين يُستقبل بمثل هذا ؟!

فقال له سفيان:

- اسكت، فإنما أهلك فرعون هامان، وهامان فرعون.

ثم خرج سفيان..

فقال أبو عبيدة الكاتب لأبي جعفر:

- ألا تأمر بقتل هذا الرجل، فوالله ما أعلم أحدًا أحقُّ بالقتل منه؟

فقال أبو جعفر:

- اسكت، فوالله ما بقي على الأرض أحدٌ يُستحيا منه، غير هذا ومالك بن أنس.

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أتريد أن أكون مثلك؟

أَدْخِلَ سفيان الثوري يومًا على أبي جعفر أيام الحج بمِنَى، فقال سفيان لأبي جعفر:

-اتق الله، فإنما أُنْزِلتَ هذه المنزلة، وصرت في هذا الموضع -أي أميرًا للمؤمنين- بسيوفِ المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعًا، وحج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فما أنفق إلا خمسةَ عشر دينارًا، وكان ينزل تحت الشجرة.

فقال أبو جعفر:

- فإنما تريد أن أكون مثلك؟

قال سفيان:

- لا تكن مثلي؛ ولكن كن دون ما أنت فيه وفوق ما أنا فيه.

فقال أبو جعفر لسفيان:

- اخرج!.

ثم طلبه بعد ذلك لتولي القضاء، ففر سفيان منه هاربًا، إلى أن مات أبو جعفر كما ذكرنا من قبل.

فماذا يظن هؤلاء الأمراء والسلاطين؟ هل يظنون أنهم فوق الشعوب؟

هل يظنون أن أموال الشعوب ملكٌ لهم ينفقون من الأموال ما شاؤوا وقتما شاؤوا، بحقٍ وبغير حق، وشعوبهم تموت جوعًا؟!

فكم سمعنا ورأينا عبر شاشات التلفاز والإنترنت، كم من الأموال التي تُنفق على الولائم، والتي تكون في النهاية من نصيب القطط والكلاب؟!

ولربما بات بعض الناس ليله دموعه على خده من شدة الجوع، ولربما أنفِقَت المليارات على قصورٍ لا تجد من يسكنها، ولربما بات بعض الناس في العراء في ليل الشتاء القارِس لأنه لا يجد بيتًا يأويه..

ولربما أنفقت الملايين على أفخر الملابس وأحدث الموضات، وربما كان بعض الناس لا يجد ثوبًا يستر به بدنه من زمهرير الشتاء، فهل هذه وظيفة الأمراء والسلاطين؟ أم ماذا تكون وظيفتهم؟

فرحم الله (أبا مسلم الخولاني) حينما دخل على أمير المؤمنين معاوية وقال له:

«السلام عليك أيها الأجير!».

نعم ، إن الأمير أو السلطان أجيرٌ عند شعبه، يعمل لمصلحة شعبه، ويتقاضى أجره من أموال شعبه، وحينما منع معاوية العطاء (المرتبات) عن المسلمين، وقف أبو مسلم وقال له:

«لِمَ منعت العطاء يا معاوية؟ إنه ليس من كَدك ولا كَد أبيك!».

أي أنه ليس مالك ولا مال أبيك، إنه مال المسلمين، فالأمراء والسلاطين أمناء على أموال المسلمين، لا ينفقونها إلا في مصلحة المسلمين، ولا يأخذون منها إلا ما يكفي لنفقتهم ومَن يعولون، فأين هؤلاء الأمراء والسلاطين الذين يخافون الله في شعوبهم؟!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عزيزي القارئ، دعني أسأل التاريخ هذا السؤال:

«أين الأمراء والسلاطين الذين يتقون الله في شعوبهم؟»

فإذا بالتاريخ يقف صامتًا ثم يطأطئ رأسه خجلًا قائلًا:

«لم أجد في ذاكرتي إلا المسلمين الأوائل!».

فهيا بنا لنعود بذاكرة التاريخ إلى الوراء، ونقف بالزمان عند عام ١٣هـ، ونتجول في شوارع المدينة المنورة، ثم نسأل أحد سكان المدينة

مَن حاكم الدولة الإسلامية آنذاك؟ إنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب..

كم تبلغ مساحة الدولة الإسلامية في عهده؟

اتسعت الدولة الإسلامية حتى جاورت أفغانستان والصين شرقًا، والأناضول وبحر قزوين شمالًا، وتونس غربًا، وبلاد النوبة جنوبًا،

لقد ابتلعت الدولة الإسلامية دولة الفرس وأكثر من ثلثي دولة الروم.

فانظر يرحمك الله إلى أمير المؤمنين عمر الذي تحطمت دولتا الفرس والروم على يديه، وأناخت الدنيا على عتبة داره فركلها بقدميه وطلقها ثلاثًا، كم تظن أن عمر يتقاضى من الراتب؟

سأل هذا السؤال بعض المسلمين فقالوا:

-ماذا يحل لعمر من مال الله؟

قال عمر:

-أنا أخبركم بما أستحل منه، يحل لي ثوبان، ثوبٌ في الشتاء وثوب في الصيف، وما أحجُّ عليه وأعتمر من الظَهر (الراحلة)، وَقُوْتِي وقُوْت أهلي

كقوت رجلٍ من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم!.

يا الله.. يا الله!!.

يكتسي ثوبين، ثوبٌ في الشتاء وثوب في الصيف، والله إنَّا لا نرضاه لأنفسنا، أيكون هذا كساء أمير المؤمنين، حاكم أكبر دولة على وجه الأرض آنذاك!.

فانتبه يرحمك الله.. جلس المسلمون لأداء صلاة الجمعة، ينتظرون أمير المؤمنين عمر؛ ليصعد المنبر ويلقي خطبة الجمعة؛ ولكن عمر - رضي الله عنه - تأخر كثيرًا.. ثم جاء فصعد المنبر واعتذر للناس عن تأخره، أتدري لماذا تأخر عمر؟

يقول عمر للناس:

«إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يُغسل ولم يكن لِي ثوبٌ غيره».

سبحان الله..

سبحان الله!

أيُنَا يطيق هذا؟

فتعالَ بنا لنطرح هذا السؤال على مَن عاش زمان عمر؟

كيف كانت ثياب عمر؟

يقول قتادة: «كان عمر يلبس، وهو خليفة، جبةً من صوفٍ مرقوعة!».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول أنس: «رأيت بين كتفي عمر أربع رقاعٍ في قميصه!»

وقد خطب رضي الله عنه النَّاس؛ وهو خليفةٌ، وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعةً، وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعةً..

فهذا لباس أمير المؤمنين عمر، فكيف بلباس ملوك الأرض الآن؟

وإن كان هذا هو لباس عمر، فماذا عن طعامه؟

طعام عمر

هل كان عمر يعدد أصناف وألوان الطعام أم أنه كان يطلب أشهى أنواع

المأكولات الشرقية والغربية؟

لا تتعجب حينما أقول لك أنَّ طعامه كان الخبز والزيت، والخبز والسمن!.

أخي وحبيبي : هل تطيق ذلك؟ فإن أمير المؤمنين عمر كان يطيق؛ بل إليك ما هو أعجب من ذلك..

أُصيب المسلمون بمجاعة شديدة عام الرمادة، فَقَلَّ السمن وارتفع ثمنه، فامتنع عمر عن أكل السمن، وقال:

«والله لا آكله حتى يأكله المسلمون».

فلم يبق لعمر إلا الخبز والزيت، فكان يقول لخادمه:

«اكسر حره عنا بالنار».

فكان يطبخه له، فكلما أكل عمر كانت بطنه تقرقر فيقول لها:

«قرقري فليس لك عندنا غيره؛ حتى يحيا الناس».

عزيزي جَرِب ولو لمرة أن تأكل بالخبز والزيت فيا ترى ما الذي يحدث معك؟

حينما تعلم فأخبرني بالنتيجة؛ فليس من سمع كمن عاين..

لتعلم مقدار ما كان يعانيه أمير المؤمنين، فهل لرجل هذا طعامه أن يستأثر بطعامٍ دون عامة المسلمين؟

نحروا يومًا جزوراً (هي الإبل) ليطعموا الناس، ثم أتوا بأحسنها إلى عمر

فقال عمر:

- أنى هذا؟

قالوا:

-يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم.

قال:

- بَخٍ بَخٍ ! بئس الوالي أنا إن أكلت أطيبها، وأطعمت الناس كراديسها.

وقال لخادمه:

-ارفع هذه الجفنة؛ حتى تأتي بيت فلان، فضعها بين أيديهم!.

ثم أمر بطعامٍ فأتوا له بخبز وزيت!!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجاءته يومًا قافلةٌ من مصر تحمل اللحم والسّمنَ والطعام والكِساء، فوزّعها على الناس بنفسه وأبى أن يأكل شيئا..

وقال لقائد القافلة:

-ستأكل معي في البيت.

ومنَّىٰ الرجل نفسَه وهو يظنّ أن طعام أمير المؤمنين خيرٌ من طعام الناس.

وجاء عمر والرجل إلى البيت جائعَين بعد التّعب، ونادى عمر بالطعام فإذا هو خبزٌ مكسّر يابس مع صحن من الزيت! فاندهش الرجل وتعجّب، وقال: -لِمَ منعتني من أن آكل مع النّاسِ لحمًا وسمنا؟!

فقال عمر:

-ما أطعمك إلا ما أطعم نفسي.

فقال الرجل:

-وما يمنعك أن تأكل كما يأكل الناس وقد وزّعتَ اللحم والطعامَ عليهم؟!

قال عمر:

-لقد آليتُ على نفسي أن لا أذوقَ السمن واللحم حتى يشبعَ منهما المسلمون جميعًا.

أشفق المسلمون على أمير المؤمنين عمر لَمَّا رأوه يُضَيق على نفسه في العيش، فَدَخَلُوا عَلَى أم المؤمنين (حَفْصَةَ ابنة عمر) فَقَالُوا لها:

-أَبَى عُمَرُ إلا شِدَّةً عَلَى نَفْسِهِ وَحَصْرًا وَقَدْ بَسَطَ اللَّهُ فِي الرِّزْقِ، فليأخذ من مال المسلمين ما شاء، وَهُوَ فِي حَلٍّ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

فلما انصرفوا من عندها، دخل عليها عمر فقالت له:

-يا أمير المؤمنين لو اكتسيت ثوبًا هو ألين من ثوبك وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك فقد وَسَّع الله من الرزق وأكثر من الخير.

فَقَالَ لَهَا عُمَرُ:

-يَا حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، نَصَحْتِ قَوْمَكِ وَغَشَشْتِ أَبَاكِ.

إِنَّمَا حَقُّ أَهْلِي فِي نَفْسِي وَمَالِي فَأَمَّا فِي دِينِي وَأَمَانَتِي فَلا.

فيا أخي الحبيب، إن قلت لك إن عمر كان يعيش عيشة الفقراء والمساكين فأشعر أني قد ظلمته ..

إن عمر – رضي الله عنه- كان يعيش عيشةً أقل من عيشة الفقراء والمساكين..

وإلا فأخبرني بالله عليك، أي فقير أو مسكين يرضى لنفسه أن يرتدي ثوبًا مرقعًا؟ وأيهما يرضى أن يعيش على الخبز والزيت؟ فأين أنت يا عمر؟

وأين زهدك وورعك وتقواك؟ وأين حفاظك على أموال المسلمين؟

عزيزي.. الكلام عن عمر –رضي الله عنه- يطول، وأنا والله أصارع قلمي ليتوقف عن الكلام عنه؛ ولكنه يأبى عليَّ..

فلعل الله أن يوفقنا للكلام عنه في كتابٍ مستقل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تخدعني

تولى (المهدي) الحُكم بعد وفاة أبيه المنصور، ولا شك أنه رأى ما حدث بين المنصور والثوري، وعلم أن هذا العالم الرباني لم ينجح المنصور في أن يغريه بالمنصب أو المال..

أراد المهدي أن يضم الثوري إلى حاشيته، فماذا يصنع مع هذا العالم الرباني؟

إنه لا يبيع دينه بمتاع من الدنيا، فماذا يصنع؟

وهنا خطر بباله الحل، لقد علم المهدي من أين تُؤكل الكتف!

ماذا يريد الثوري؟ يريد العمل بالكتاب والسنة!.

فأرسل على الفور من يأتيه بالثوري.. حضر الثوري أمام أمير المؤمنين المهدي.. نظر إليه المهدي مبتسماً؛ ثم خلع خاتمه الذي يختم به الكتب والرسائل فألقاه إلى الثوري..

اندهش الجميع.. أمير المؤمنين يلقي بخاتمه إلى الثوري!

فقطع المهدي دهشة الجميع، حينما قال له:

-يا أبا عبدالله ، هذا خاتمي، فاعمل في الأمة بالكتاب والسنة!.

وكأني بك تقول في نفسك: «إنها فرصة عظيمة، أسرع أيها الثوري واعمل في الأمة بالكتاب والسنة».

ولكن الثوري كان له رأيٌ آخر..

أخذ الخاتم بيده وقال:

-تأذن لِيَّ يا أمير المؤمنين في الكلام؟ أتكلم على أني آمن؟

قال المهدي:

- نعم

قال الثوري:

-لا تبعث إليَّ حتى آتيك، ولا تعطني حتى أسألك.

أدرك المهدي أنه فهم مراده، فإذ بالمهدي يغضب غضبًا شديدًا، وكاد أن يقتله لولا أن كاتبه قال له:

- أليس قد أمنته؟

قال المهدي:

- بلى

فلما خرج الثوري من عنده.. أحاط به أصحابه في وسط دهشة وذهول وقالوا له:

-ما منعك وقد أمرك أن تعمل في الأمة بالكتاب والسنة ؟!

أتريد أن تعرف لماذا لم يوافق على طلب المهدي؟

انتبه معي وستعرف بعد قليل..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فر الثوري هاربًا إلى البصرة؛ حتى يختفي عن أعين المهدي..

ودارت الأيام وأمسكوا به، وأدخلوه على المهدي..

فإذا بالمهدي يحيط به جنده وحاشيته، (والربيع) يقف بجواره ممسكًا بقبضة سيفه، وكأنه رهن إشارة ينتظر الأمر من المهدي..

يقول الثوري:

- قلت في نفسي، قد وقعتِ يا نفسُ فاستمسكي!

فنظر المهدي إليه بوجهٍ طلق، ثم قال:

-يا سفيان تفر هنا وهاهنا، تظن أن لو أردناك بسوءٍ لن نقدر عليك.. فقد قدرنا عليك الآن! أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟!

قال سفيان:

-إن تحكم فيَّ يحكم فيك ملكٌ قادر.. يفرق بين الحق والباطل.

فقال الربيع:

- يا أمير المؤمنين، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟! أتأذن ليَّ أن أضرب عنقه؟

فقال له المهدي:

- اسكت، ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم.. اكتبوا له كتابًا ليتولى القضاء، ولا يعترض على حكمٍ قضاه أحد..

ثم أعطوا الثوري الكتاب ليتولى القضاء رغمًا عنه، فأخذه سفيان وخرج ورمى به في دجلة، ثم فر هاربًا، ينتقل من بلدٍ إلى بلد.. فلما علم المهدي بذلك، وأنه ألقى بكتابه في دجله، استشاط غضبًا.. وأعلن عن جائزة عشرة آلاف لمن يدله على الثوري.

والآن: لماذا لم يوافق الثوري على العمل بالكتاب والسنة؟

لقد فهم سفيان مراد المهدي..

يريد المهدي أن يشتريه بالثمن الذي لا يحب غيره (العمل بالكتاب والسنة).. حتى إذا ضمه إلى حاشيته وأصبح من جلسائه، أغدق عليه الأموال الكثيرة؛ فإذا رأى الثوري ما يخالف الكتاب والسنة سكت ولم يتكلم.

ولماذا لم يتولَ القضاء للمنصور والمهدي؟

يتضح ذلك حينما تعرف أقوال الثوري في الأمراء والسلاطين..

كان رحمه الله يقول:

«لست أخاف ضربهم؛ ولكن أخاف أن يميلوا عليَّ

بدنياهم، ثم لا أرى سيئتهم سيئة».

لذلك قال ليحيى بن يمان: «إذا اقتصرت على خبزك وبقلك، لم يستعبدك هؤلاء (يعني السلاطين)».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول سفيان:

« إذا رأيت القارئ –أو الفقيه- يلوذ بباب السلطان فاعلم أنه لص.. ولو خُيرت بين ذهاب بصري، وبين أن أملأ بصري منهم – السلاطين- لاخترت ذهاب بصري».

ويقول: «ليس للسلطان خيرٌ من ألا يراك ولا تراه».

شعاره: إذا دعوك - السلاطين- لتقرأ عليهم **(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد)** فلا تجبهم».

لذلك كان يفر -رحمه الله- من السلاطين ومناصبهم فرار الناس من المجذوم..

***

محاكمة الأمير

لقد أعطى المهدي ولاية القضاء إلى (شريك النخعي).

أما عن حال شريك النخعي وجرأته في الحق والصدع به.. هذا ما سنعرفه من هذه المرأة التي دخلت عليه مجلس القضاء، تصيح.. وتصرخ.. وتستغيث..

-أنا بالله ثم بالقاضي.. أنا بالله ثم بالقاضي!..

فقال لها القاضي شريك:

- مَن ظلمك؟!!

قالت:

- الأمير (موسى بن عيسى)، ابن عم أمير المؤمنين.. كان لِيَّ بستانٌ من النخيل ورثته عن أبي، تقاسمتُ في البستان أنا وإخوتي.. فكل واحد أخذ نصيبه.. بنيتُ حائطًا بيني وبينهم، وجعلتُ في بستاني رجلًا فارسيًا يحرسه ويرعاه.. باع إخوتي نصيبهم إلى الأمير موسى.. وبقيت أنا..

فأراد الأمير أن يشتري بستاني، فرفضت أن أبيعه البستان.. فحاول إغرائي بالمال.. لكنني رفضت..

فلما كانت هذه الليلة، أرسل رجاله فاقتلعوا الحائط الذي بيني وبين أرض إخوتي التي اشتراها الأمير، فاختلط نخيلي بنخيل الأمير.. والآن لا أدري.. أين نخيلي من نخيله أو بستاني من بستانه!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عزيزي.. أتدري لماذا اقتلع الأمير الحائط الذي بينه وبين المرأة ؟؟

لأن الأمير طَمِع في بستانها، فاقتلع الحائط الذي بينه وبينها؛ حتى يجبرها على بيع البستان..

استمع القاضي شريك إلى شكواها.. أرسل القاضي إلى الأمير؛ ليأتي إلى مجلس القضاء، حتى يتمكن من الحكم في القضية.. لكن الأمير رفض الحضور، وأرسل أحد رجاله برسالةٍ إلى القاضي يقول فيها:

(يا سبحان الله.. ما رأيت أعجب من أمرك.. امرأةٌ ادَّعت عليَّ دعوى لم تصح، أعديتها عليَّ؟!).

فلما سمع القاضي الرسالة نظر إلى أعوانه وقال لهم:

- ضعوا حامل الرسالة في الحبس..

فَحُبِس !! فلما علم الأمير أنَّ القاضي حبس حامل الرسالة، تعجب الأمير، لماذا حبس حامل الرسالة؟! ثم أرسل رجلاً آخر إلى القاضي برسالة يقول فيها:

(رسولٌ أدَّى رسالة.. أي شيء عليه؟!).

فلما انتهى الرجل من كلامه.. نظر شريك إلى أعوانه وقال لهم:

-اذهبوا به إلى رفيقه إلى الحبس..

فَحُبس !! علم الأمير بذلك فازدادت دهشته وحيرته.. ماذا يصنع ؟؟

ذهب إلى أصدقاء شريك القاضي وقال لهم:

-امضوا إلى القاضي، وأبلغوه مني السلام، وأعلموه أنه استخفّ بي، وأني لست كالعامّة.

حضر أصدقاء شريك القاضي إليه وأبلغوه رسالة الأمير.. فماذا صنع شريك؟ أمر أعوانه أن يأخذوهم جميعًا إلى الحبس، فاندهشوا جميعًا وقالوا:

-أجادٌ أنت؟!

فقال لهم شريك:

- حقًا.. ما أنتم إلا فتنة.. وجزاؤكم الحبس، حتى لا تعودوا برسالة ظالم.. فَحُبِسوا جميعًا!

علم الأمير بذلك فاستشاط غضبًا.. ماذا يصنع ؟

ذهب ليلًا إلى السجن فأخرجهم جميعًا، فلما كان الصباح علم شريك بذلك من السجان.. ماذا صنع شريك القاضي؟

كتب ورقةً فيها استقالته من القضاء ثم قال:

(والله ما طلبنا هذا الأمر منهم – يعني تولي القضاء - ولكن أكرهونا عليه.. ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذا تقلدناه لهم).

وركب راحلته ليسافر إلى بغداد، فيلتقي بأمير المؤمنين المهدي؛ حتى يُعفيه من تولي القضاء.. ومضى في طريقه إلى بغداد.. علم بذلك الأمير موسى.. فركب موكبه وأسرع إليه، فلما لحق بالقاضي أخذ الأمير يناشده بالله أن يرجع ويتعطفه ويتودد إليه ويقول له:

- يا أبا عبدالله تَثَبّتْ.. انظر.. إخوانك تحبسهم ؟؟!

دع أعواني..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال شريك:

-نعم أحبسهم.. فقد مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه.. ولن أرجع حتى يعودوا جميعًا إلى الحبس.. وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي فأستعفيه مما قلدّني.

فأمر الأمير موسى بردهم جميعًا إلى الحبس.. وشريك واقف والله مكانه حتى جاءه السجّان فقال:

-قد رجعوا جميعًا إلى الحبس!.

فقال شريك لأعوانه:

- خذوا بلجام دابة الأمير بين يديَّ إلى مجلس الحُكم!.

فلما حضر الأمير إلى مجلس الحكم وأحضروا المرأة..

قال الأمير:

-قبل كل أمر.. أنا قد حضرت.. أولئك يخرجون من الحَبس.

فقال شريك:

-أما الآن فنعم، أخرجوهم من الحبس..

ثم نظر شريك إلى الأمير وقال له:

ما تقول فيما تدّعيه هذه المرأة؟!

قال الأمير:

-صَدَقتْ.

قال شريك:

- تَرُد ما أخذتَ منها.. وتبني حائطًا سريعًا كما كان..

قال الأمير:

- أفعل ذلك كله!.

واتجه شريك إلى المرأة وقال لها:

-أَبَقِيَ لكِ عليه دعوى؟!

قالت المرأة:

- بيت الرجل الفارسي ومتاعه..

قال الأمير:

- ويُرد ذلك كله

قال شريك للمرأة:

-أبقيَ لكِ عليه دعوى؟

قالت:

-بارك الله عليك وجزاك خيرًا.

يا الله، ما أعظم سلفنا الصالح!

أين الذين يتشدقون بحقوق الإنسان؟

أين الذين يتغنون بالعدل والمساواة؟

أين الذين انبهروا بالغرب وعدالته؟

ألا فليعلم الجميع أنَّ هؤلاء أجدادنا.. فيا ليتنا نسير على خطاهم!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شريح القاضي

ماذا عن شريح؟

ولاه القضاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب..

ثم أمير المؤمنين عثمان من بعده..

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

عُرِف شريح القاضي بعدله في القضاء بين الناس..

ولا تأخذه في الله لومة لائم..

حكم في قضيةٍ ذات يوم على رجل.. وأراد الرجل الانصراف.. ولكن شريح لم يرض له الانصراف، حتى يُحْضر من يتكفل برجوعه إلى القضاء.. لم يجد الرجل من يتكفل به..

فتقدم ابن شريح وتكفل عند أبيه برجوع الرجل، فهرب الرجل من القضاء ولم يرجع.. فماذا صنع شريح؟

أمر بحبس ولده!

نعم..

أمر بحبس ولده.. حبس فلذة كبده، حتى لا تضيع الحقوق بين الناس!.

ولقد وقعت خصومة بين ابن شريح وآخرين.. فأراد ابن شريح أن يستغل منصب والده في القضاء.. فماذا صنع؟

لَمَّا كان شريح بالبيت سأله ابنه فقال:

-يا أبت، إن بيني وبين قوم خصومة، فانظر فيها، فإن كان الحق لي قاضيتهم، وإن كان لهم صالحتُهم.. يستشيره لكي يعلم أنه سيكسب القضية أم سيخسرها.. ثم قصَّ عليه قصته..

فقال له شريح:

-انطلق فقاضِهم.

وهنا استبشر الولد خيرًا.. ظن أنَّ الحق معه . .فانطلق مسرعًا إلى خُصُومِه، ودعاهم إلى المقاضاة، فاستجابوا له.

وقف الخصمان أمام شريح القاضي..

ابنه وخصومه، وقد اطمأن ابنه للحكم.. لأنه استشار والده..

فبماذا حكم شريح؟ قضى لهم على ولده!

فلما رجع شريح وابنه إلى البيت، قال الولد لأبيه:

-فضحتني يا أبتِ، والله لو لم أستشرك من قبل لما لُمتك!.

فقال شريح:

-يا بُنَيّ.. والله لأنت أحب إليَّ من ملء الأرض من أمثالهم.. ولكن الله عز وجل أعز عليَّ منك! لقد خشيت أن أخبرك بأن الحق لهم فتصالحهم صلحًا يفوت عليهم بعض حقهم.. فقُلْتُ لك ما قلت..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله أكبر.. الله أكبر!

خاف أن يخبر ولده أنَّ الحق لهم، فيصالحهم.. فيضيع بعض حقهم!

فما أعظم هذا الدين.. الذي يأمر بهذا العدل..

وما أجمل هذه الكلمات

«**لَو أنَّ فاطمة بنت محمَّدٍ سَرَقت لقَطَع محمَّد يَد فاطمة**».

كلمات قالها النبي.. أرست مبادئ العدل والمساواة..

فلتسمع الدنيا مني: هؤلاء أجدادنا.. فأين أجدادك أيها الغرب؟

وإن كنت أيها الغرب تتغنى بالعدل والمساواة الآن؟

فمن أين تعلمت العدل والمساواة؟

ألم تتطفل على ماضينا، حتى تعرف كيف يكون العدل؟

إن مواقف أجدادنا مليئةٌ بالعدل والمساواة.. ومواقف أجدادكم مليئة بالظلم والاستبداد، كان المسلمون الأوائل ينعمون بالعدل.. حينما كانت بلادكم.. كالوحوش في الغابات، فيا ليت قومي يفيقون من غفلتهم..

ويعودون إلى شرعهم عودًا حميدًا.

***

رُبَّ ضارةٍ نافعة

هذا الرجل نشأ في أسرةٍ فقيرة مغمورة.. لا يسمع بها أحد.. كان يبيت بزاويةٍ من زوايا المسجد الأموي بدمشق.. وقد كَبُر ولم يطلب العلم..

وفي ليلةٍ شديدة البرودة، يستيقظ ليلًا وقد أصابته الجنابة (احتلم)، فأراد أن يغتسل.. فإذ بأبواب المسجد مغلقة، فذهب مسرعًا إلى بركةٍ في طرف المسجد.. كاد أن يتجمد ماؤها من شدة البرد، فخلع ملابسه.. انغمس في البركة.. واغتسل بمائها البارد.. ثم خرج وكاد يغمى عليه!.

عاد إلى نومه مرةً أخرى.. فإذ بالجنابة تقطع عليه نومه، فماذا يصنع مع شدة البرد؟ لم يجد حلًا سوى الانغماس في البركة شديدة البرودة، فخرج من اغتساله وقد تجمد الدم في عروقه.. فأغميَّ عليه!.

انْتَبه من غيبوبته.. ثم عاد وجلس حتى طلع الفجر.. وكأنه قد أدرك قيمة العلم، هنا أخذته سِنة من نوم فسمع أحدًا يقول له في النوم:

هل تريد العلم أو العمل؟

قال:

– أريد العلم؛ لأن العلم يقود إلى العمل..

فلما أصبح الصباح أخذ كتاب (التنبيه في فقه الشافعي)، وجلس عليه حتى حفظه، ثم بعد ذلك ظلَّ يطلب العلم حتى صار عالمًا جليلًا..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال عنه السُبكي: أعلم أهل زمانه.

وقال عنه ابن الحاجب: أنه أفقه من الغزالي.

أتدرون من هو؟

إنه سلطان العلماء (العز بن عبد السلام)، الذي سنعرض بعض مواقفه.

***

سلطان العلماء

العز بن عبد السلام.. الذي أعاد للعلم مكانته.. وللعَالِم هيبته.. يصدع بالحق، لا يخشى في الله لومة لائم.. حتى هابه الملوك والأمراء، وعرف قدره الدعاة والعلماء.. له صولاتٌ وجولاتٌ ضد الباطل، وقف ضد الظلم والفساد؛ ولذلك لُقب بـ (سلطان العلماء)، ومن مواقفه المشهورة .. ما حدث معه في قصة الخيانة...

الخيانة

كان (العز) يعيش بدمشق.. الذي يحكمها آنذاك الملك (الصالح إسماعيل الأيوبي)، تولى العز خطابة المسجد الأموي، وكان مفتيًا لدمشق..

وقع نزاعٌ بين الملك الصالح إسماعيل الأيوبي.. وبين ابن أخيه الملك (نجم الدين الأيوبي) حاكم مصر، فماذا صنع الصالح إسماعيل؟

لقد خان البلاد والعباد.. وخان الله ورسوله.. أتدرون ماذا صنع؟

لقد تحالف مع الصليبيين ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب!

ما هي بنود التحالف؟.. أن يُسَلِّم بعض البلاد والمدن الإسلامية للصليبيين..

أن يسمح للصليبيين أن ينزلوا دمشق لشراء الأسلحة والطعام..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كل هذا ليشترك الصليبيون معه في جيشٍ واحد.. في حربه ضد نجم الدين أيوب! وما يثير الدهشة أنه يعطي البلادً والمدن الإسلامية للصليبيين وكأنها ملك له، وكأن كل من حكم دولةً ملكها شعبًا وأرضًا يتصرف فيها كيف يشاء!..

فآهٍ من دنيا فانية.. ومن سلطانٍ زائل.. يصنع من صاحبه.. خائنًا لشعبه وأرضه ودينه!!..

ألا فليعلم كل خائن أنَّ ملك الملوك يراه، وأنَّ التاريخ لا يرحم أحدًا، وأن ذاكرة التاريخ لا تنسى.

فرحم الله السلطان العثماني (عبدالحميد).. الذي جاءه (هرتزل) يطلب منه فلسطين لإقامة دولة يهودية.. على أن يسدد له ديون الدولة العثمانية..

فصاح السلطان عبدالحميد في وجهه بكلماتٍ خالدة:

« **إن فلسطين ليست ملكًا لي.. إنها ملك للمسلمين.. قد رواها أجدادنا بدمائهم**».

فشتان بين الموقفين .. وأين الثرى من الثريا؟ فهل يستوى العز والبطولة مع الذل والخنوع؟

فهاهو التاريخ الآن، كيف يذكر السلطان عبدالحميد؟ وكيف يذكر الملك الصالح إسماعيل؟

نزلت عساكر الصليبيين شوارع دمشق لشراء الأسلحة والطعام..

فما كان لشعب دمشق المسلم أن يبيع الأسلحة للصليبيين.. وهم يعلمون أنهم يقتلون بها إخوانهم المصريين..

فأسرع الناس إلى الأسد الهصور، والعالم الجليل العز بن عبد السلام، الذي أفتى بحرمة بيع الأسلحة للصليبيين..

وفي خطبته على المنبر.. هاجم السلطان إسماعيل، وشَنَّعَ عليه، وندد بخيانته وموالاة أعداء الله.. ثم رفض الدعاء للسلطان إسماعيل بعد الخطبة..

وكأن هذا إنذار من العز بخلع السلطان..

أدرك الصالح إسماعيل خطورة الموقف، وأحس ببركان ثورة يكاد ينفجر.. فماذا صنع ؟؟

أسرع على الفور بعزل العز عن الخطابة والفتوى.. ثم قام باعتقاله..

هاج الناس وماجوا من أجل الشيخ، خرج الشيخ من معتقله..

لكن الصالح إسماعيل فرض عليه الإقامة الجبرية..

بأن يلزم الشيخ بيته.. لا تدريس ولا خطابة ولا فُتيا..

إن العز كان موسوعةً علمية تتحرك على الأرض..

فكيف لعلم مثل علم العز أن يظل حبيسًا في صدره؟

فقرر العز الرحيل إلى مكانٍ ينشر فيه علمه، فإلى أين اتجه؟

اتجه إلى بيت المقدس.. ومنها يتجه إلى مصر..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي أثناء تواجده ببيت المقدس..

وصل الصالح إسماعيل والصليبيون بالجيش إلى بيت المقدس.. يريدون الحرب على مصر واحتلالها..

علم الصالح إسماعيل بوجود الشيخ في هذا المكان.. فما الذي صنعه مع الشيخ؟

أرسل الصالح إسماعيل أحد أتباعه إلى الشيخ وأمره أن يتلطف معه غاية التلطف.. وأن يسايسه ويلاينه في الكلام.. وأن يقول له:

«بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه، وزيادة، أن تنكسرَ للسلطان، وتُقبل يده لا غير!».

فرد عليه العز بن عبد السلام في كبرياء وعزة قائلًا:

«يا مسكين، ما أرضاه أن يُقبل يدي، فضلًا أن أقبل يده!

يا قوم أنتم في وادٍ، وأنا في وادٍ.. والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به!».

فقال رسول الملك للشيخ:

-لقد أمرني باعتقالك إذا لم ترض بذلك!

فقال الشيخ :

-افعلوا ما بدا لكم..

فاعتقلوه في خيمةٍ بجوار خيمة الملك، وكان الشيخ يتعبد ويقرأ القرآن

في خيمته.. فسمع صوت قراءته الملك، وكان يجلس مع ملوك النصارى..

فإمعانًا في الذل والخنوع، وزيادة في الخيانة والغدر، واسترضاءً لملوك النصارى قال لهم:

-تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟

قالوا:

- نعم.

قال:

-هذا أكبر علماء المسلمين، وقد حبسته لإنكاره عليَّ تسليمي حصون المسلمين.. وعزلته عن الخطابة بدمشق، وعن مناصبه.. ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم!.

فواخيبتاه عليك من ملك! بم تفتخر؟ بتسليم أرضك أم باعتقال شيخك؟!

فبماذا رد عليه ملوك النصارى؟

قالوا:

«**لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه، وشربنا مرقتها!**».

يا الله! كلمة حق خرجت من أفواه شياطين النصارى، صدقك وهو كذوب!

لقد سقط الملك من أعينهم تمامًا.. فياله من رد مخزٍ لهذا الملك..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد وقع عليه وقع السهام.. ويا ليته تراجع وأفرج عن الشيخ، ولكنه استمر في حبسه.. حتى جاءت الجيوش المصرية، وهزمت الصالح اسماعيل والصليبيين، وحررت بيت المقدس.. وأفرجت عن الشيخ..

اتجه الشيخ إلى الديار المصرية مع الملك نجم الدين أيوب..

فهل تراجع الشيخ عن صدعه بالحق؟ هل انكسرت عزيمته ؟

هل تراجع عن إنكار المنكر؟ وهل داهن الملك نجم الدين أيوب؟؟

كل هذه الأسئلة تحتاج إلى إجابة..

والإجابة عليها تجدها في العنوان القادم (المزاد العلني).

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المزاد العلني

أراد الملك نجم الدين أيوب ،لَمَّا تولى الحكم، أن يجعل جيشه قويًا،

فاشترى المماليك بأموالٍ من بيت مال المسلمين.. ودربهم على الفروسية والنزال، واستعان بهم في حكمه وحروبه.. فصاروا أمراء وقادة،

وتملكوا المناصب العليا في الدولة، حتى أصبح أحدهم نائب الملك..

رَحَّبَ الملك نجم الدين أيوب بالشيخ العز في مصر، وأكرمه وعرف له قدره.. فولاه الخطابة والقضاء..

زاول الشيخ أعماله؛ ولكنه لاحظ مالم يكن في الحسبان، فماذا لاحظ الشيخ؟

لقد اكتشف الشيخ أن المماليك الذين يسيطرون على الحكم مازالوا عبيدًا أرقَّاء!

فلا تصح ولايتهم على الأحرار، ولا يصح عند الشيخ بيعهم ولا شراؤهم ولا نكاحهم، حتى يثبت عنده أنهم أحرار..

فماذا صنع الشيخ؟

كان لا يصحح لهم بيعًا ولا شراءً ولا نكاحًا، وبهذا تعطلت مصالح المماليك.. استشاط المماليك غضبًا، واضطربت الأمور في الدولة.. ومن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هنا وقعت الأزمة السياسية بين السلطة القضائية المتمثلة في الشيخ.. وبين السلطة التنفيذية المتمثلة في المماليك.. فهل لهذه الازمة من حل؟

الحل عند الشيخ العز.. فما هو الحل؟

أن يُباع المماليك – لاحظ أنهم ملوكٌ وأمراء- في مزاد علني كما يباع العبيد.. ثم يعتقهم من يشتريهم.. حتى يصبحوا أحرارًا.. فتصح ولايتهم وبيعهم وشراؤهم.. ويعود ثمن بيعهم إلى بيت مال المسلمين!

عزيزي القارئ، لك أن تتخيل الزلزال التي أحدثته هذه الفتوى،

فقد أبطلت ولاية المماليك جميعًا.. وهم أغلب الطبقة الحاكمة..

هاج المماليك وماجوا، وقالوا:

-كيف نُباع ونحن ملوك الأرض؟!

ورفعوا أمرهم إلى نجم الدين أيوب، الذي استنكر ذلك بشدة وقال:

-هذه الأمور ليست من شأن الشيخ!.

علم الشيخ بما قاله الملك.. فماذا كان رد الشيخ ؟

عزل نفسه عن القضاء، وجمع متاعه وأهله وخرج من القاهرة على حمارين!..

وما إن سمع الشعب المصري بخروج العز من القاهرة.. حتى خرج وراءه الآلاف من العلماء والصالحين والرجال والنساء والصبيان.. فطار الخبر إلى الملك وقالوا له:

-لقد خرج الناس وراء العز.. فمن تحكم إذن؟ متى خرج الشيخ العز ضاع ملكك!.

فركب الملك مسرعًا، حتى أدرك الشيخ، وأخذ في مسايسة الشيخ وملاطفته واسترضائه .. فرضي الشيخ بشرط.. أن يُبَاع المماليك في المزاد العلني، فوافق الملك على شرطه..

علم المماليك أن الشيخ لم يتراجع، وأنه ماضٍ في بيعهم.. وكان نائب السلطان مملوكًا، فقرروا.. قتل الشيخ!..

ذهب نائب السلطان ومعه الرجال إلى بيت الشيخ وقد أشهروا سيوفهم، خرج ابن الشيخ لينظر من بالباب فراعه ما رأى، فعاد مسرعًا إلى والده وقال:

-يا أبتِ، انجُ بنفسك.. إنه الموت!..

وأخبره بما رأى، فقال الشيخ:

-يا بني إن أباك أحقر من أن يُقتل في سبيل الله!.

وخرج مسرعًا إلى الباب.. فلمَّا رآه نائب السلطان ارتعد ووقع السيف من يده وبكى .. وقال:

-ماذا تريد أيها الشيخ؟

قال الشيخ:

-أريد بيعكم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال:

- ومن يقبض الثمن؟

قال الشيخ:

-أنا أقبض الثمن.

قال:

-وأين تضعه؟

قال الشيخ:

-في بيت مال المسلمين!

فوافق المماليك على ذلك، وباعهم الشيخ في مزاد علني..

ودفع ثمنهم نجم الدين أيوب من ماله الخاص وأعتقهم..

ومن هذا الحين عُرِف العز بن عبد السلام ببائع الملوك والأمراء!..

فهل كان هذا هو آخر مواقف العز؟ وهل تظن أن بائع الملوك والأمراء إذا رأى منكرًا يسكت عنه؟

تعال لنرى ما حدث معه في هذا الموقف القادم العجيب، تحت عنوان (رأيته كالقط).

***

رأيته كالقِطِّ

في يومِ العيد.. خرج نجم الدين أيوب على المصريين في زينته.. مزهوًا بنفسه وبِأَبَهة المُلك.. يحيط به الجنود من كل مكان.. والأمراء يُقَبِلون الأرض بين يديه..

وإذا بالشيخ العز يرى هذا المشهد المهيب.. فماذا يفعل الشيخ؟

نادى بأعلى صوته:

-يا أيوب.. يا أيوب!.

لاحظ أنه ينادي عليه بين جنوده وخدمه وحشمه باسمه مجردًا من الألقاب، فالتفت الملك مندهشًا!

فقال الشيخ:

-ما حجتك عند الله إذا قال لك:

-ألم أبوئ لك مُلك مصر ثم تبيح الخمور؟

فقال الملك:

- هل يحدث هذا في مصر؟

قال الشيخ:

- نعم.. الحانة الفلانية تباع فيها الخمور..

فقال الملك:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- إنها من زمان أبي!.

فهز الشيخ رأسه وقال:

-هل أنت من الذين قال الله فيهم:

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾. [الزخرف: ٢٣]. فأمر الملك بإغلاق هذه الحانة على الفور.. فلما عاد الشيخ.. سأله أحد تلاميذه:

-كيف الحال؟

قال الشيخ:

- يا بني.. رأيته في تلك العظمة.. فأردت أن أهينه.. لئلا تكْبُر عليه نفسه فتؤذيه..

قال له التلميذ:

- ألم تخف المَلِك؟

قال الشيخ:

-يا بني.. استحضرتُ عظمة الله.. فرأيته أمامي كالقط!.

هكذا كان العز رحمه الله طول حياته، شوكةً في حلق الباطل..

لا يسكت على منكر.. لا يجامل ولا يداهن..

توفيَّ رحمه الله في حكم الظاهر بيبرس..

كانت جنازته جنازة مهيبة من كثرة الخلق.. فنظر إليه بيبرس وقال لأحد خواصه:

-الآن استقر ملكي، لأن هذا الرجل لو أمر الناس أن ينتزعوا الملك مني لانتزعوه!.

فرحمة الله على سلطان العلماء وبائع الملوك والأمراء.. حامل راية الأمة في زمانه.. الذي وقف بجوار (سيف الدين قطز).. فقهرا التتار..

فهذا العالم الرباني العز بن عبد السلام.. الذي حمل راية الأمة في زمانه.. فمَن يحمل الراية الآن؟!

إن حال الأمة اليوم.. حال يُرثى لها.. أصبحت الأمة اليوم في ذيل الأمم..

كُبِّلت الأمة بتبعيةٍ ذليلة.. لتخدم غيرها من الأمم.. من أين تأخذ الأمة طعامها و علاجها و سلاحها؟

تحصل عليه من عدوها.. فهل تتحكم في مصيرها؟

أمةٌ تتقاتل فيما بينها.. فكيف لها أن تنتصر؟

أمةٌ فرقتها حدود مصطنعة.. فكيف لها أن تتحد؟

أمة تعتمد على غيرها .. فكيف تنهض؟

أمة تركت شرع ربها.. فكيف لها أن تسود؟

أمة أدمنت الذل والخنوع.. فكيف لها أن ترفع رأسها؟

فواحسرتاه!.. على أمتنا!

أمةٌ نست الله .. فنسيها!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تاهت في مفترق الطريق..

لا تدري من أين تنطلق؟ وكيف تنطلق؟

والله لن ترفع الأمة رأسها إلا إذا كان شرع الله قائدها..

والعجب كل العجب.. من أمة ربُّها واحد.. ونبيها واحد.. وكتابها واحد.. وقِبلتها واحدة.. ثم تجدها متفرقة!..

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ). (الانبياء:٩٢).

متى ترفع الأمة رايتها؟

عندما تطبق شرع ربها.. عندما يتحد العلماء والحكام وتخلص النوايا..

عندما تتحد تحت راية واحدة..

عندما يقودها عالمٌ رباني.. فقيهٌ بأمور الدين والدنيا..

عندما يتربى في بيوتنا.. أبو عبيدة وخالد والمثنىٰ وسعد والمِقْداد.. وصلاح الدين و قطز..

عندما يخرج من بيننا نور الدين زنكي ويصنع منبرًا ويقسم أن لا يصلي عليه إلا في المسجد الأقصى..

عند ذلك سترفع الأمة رأسها.. وترفع رايتها عاليةً خفاقة..

ولكن.. واأسفاه.. عقمت النساء أن يلدن قائدًا يقود الأمة من جديد، فحتى الآن ننتظر من يحمل الراية؟

فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده.

ما ذنب البخاري؟!

وقعت الحرب بين مصر والحبشة.. اختلف قادة الجيش المصري فيما بينهم..

وإذا اختلف القادة.. فمن أين يأتي النصر؟

توالت هزائم الجيش المصري..

وكان حاكم مصر يومئذٍ (إسماعيل باشا)، الذي ضاق صدره من كثرة الهزائم وتتابعها، هجمت الهموم بجيشها على إسماعيل باشا.. فركب يومًا مع (شريف باشًا)..

وقد ضاق صدره حرجًا.. فأراد أن يفرِّج عن نفسه، فقال لشريف باشا:

-ماذا تصنع عندما تلمُّ بك مُلمَّةٌ تريد أن تدفعها؟

فقال شريف باشا:

-يا أفندينا، إن الله عودَّني إذا حاق بي شيءٌ من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخاري.. يقرؤه ليَّ علماءٌ أطهارُ الأنفاس فيفرج الله عني..

فاتصل إسماعيل باشا بشيخ الأزهر (العروسي).. فجمع له من خيار العلماء..

أخذوا يتلون في البخاري أمام القبلة القديمة في الأزهر..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انتظر إسماعيل باشا النصر، فتوالت أخبار الهزائم إليه..

فاغتم لذلك غمًّا شديدًا.. فماذا يصنع؟ ذهب إسماعيل باشا ومعه شريف باشا إلى العلماء.. فنظر إليهم غاضبًا وقال:

-إما أن هذا الذي تقرؤونه ليس بصحيح البخاري، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح.. فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئًا!.

فبماذا يرد العلماء؟ ومن ذا الذي يجرؤ أن يرد على إسماعيل باشا؟

فسكت العلماء جميعًا، وإذا بصوتٍ يأتي من ذيل الصفوف صارخًا:

-منك يا إسماعيل لا منَّا! فإنا روينا عن النبي أنه قال:

«لَتَأمرُنَّ بالمعروف، ولَتنهونَّ عن المنكر، أو لَيُسَلِّطَنَّ الله عليكم شرارَكم، فيدعوا خيارُكم، فلا يُستجاب لهم».

سمع إسماعيل باشا الكلمات ولم ينطق بكلمة، انصرف ومعه شريف باشًا، وهنا هاج العلماء على القائل.. فمنهم من يلومه على كلامه.. ومنهم من يؤنبه..

وإذ بشريف باشا يدخل عليهم قائلًا:

-أين الشيخ القائل لإسماعيل باشا ما قال؟

فصمت الجميع.. وترقبوا في حذر، فإذا بالشيخ في ثبات يقول:

- أنا!

فأخبره شريف باشا أن إسماعيل باشا أرسله في طلبه.. وهنا أدرك الجميع أن الشيخ ذاهبٌ بلا رجعة، إما مقتولٌ أو مسجون!

وبدأ العلماء يودعونه وداع من لا يلقونه أبدًا.. دخل شريف باشا ومعه الشيخ إلى القصر، فإذا إسماعيل باشا جالس في بهو القصر وأمامه كرسي، فأمر الشيخ بالجلوس عليه وقال له:

-أعد يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر!

فأعاد عليه الشيخ الكلام وشرح له الحديث..

فقال له إسماعيل باشا: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

فقال الشيخ:

-يا أفندينا، أليست المحاكم المختلطة قد فُتحت بقانون يُبِيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليست الخمر مباحة؟ أليس؟ . .أليس؟..

فكيف ننتظر النصر من السماء؟

فقال إسماعيل باشا:

- وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدنيتهم؟

فقال الشيخ: إذن فما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟

فقال إسماعيل باشا:

- صدقت، صدقت!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلله دره من شيخ! وما أجرأه!

لقد وضع يده على جرح الأمة.. ولكن؛ ليته زاد في نصحه ليعرف طريق فقال له:

النصر من هنا!.

قال (موشي ديان) وزير الدفاع الإسرائيلي:

«حقاً سيأتي يوم نخرج فيه من هذه الأرض.. وهذه نبوءةٌ نجد لها في كتبنا

أصلًا، ولكن.. إذا قام فيكم شعبٌ يعتز بتراثه، ويحترم دينه، ويقدر قِيَمه

الحضارية، وإذا قام فينا شعبٌ يرفض تراثه، ويتنكر لتاريخه.. عندها تقوم لكم قائمة، وينتهي حكم إسرائيل!».

حقًا صدقك موشى ديان وهو كذوب!

ماذا قال؟

شعبٌ يحترم دينه..

فعذرًا يا موشى ديان، فإننا أمة أعطت ظهرها لدين ربها..

أخبرني بالله عليك.. منذ متى نحن المسلمون ننتصر بعُدةٍ أو عتاد؟ فكم كان عدد المسلمين يوم بدر؟ وكم كانوا يوم الخندق؟ وكم كانوا في حطِّين أو ملاذ كرد أو .... أو ....؟

إننا في أغلب حروبنا أقل عددًا وعتادًا..

عدونا دائمًا يمتلك كل شيء إلا الله.. ونحن ليس معنا شيء إلا الله..

قانوننا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾. [البقرة: ٢٤٩].

فإن كان سلفنا الصالح لم يمتلكوا عدةً ولا عتادًا مثل عدوهم.. فكيف كانوا ينتصرون؟!!

عندما جهَّز (صلاح الدين) جيشه لحرب الصليبيين.. كان يسير بين خيام المعسكر ليلًا.. يتفقد جنده، فإذا رأى الخيمة في تلاوة وذكر وصلاة.. قال: «من هنا يأتي النصر».

وإذا رأى الخيمة في نوم عميق..

قال:

«من هنا تأتي الهزيمة!».

عزيزي القارئ، لا أدري هل أعجب أنا.. أم أترك لك العجب!

فهؤلاء الجند لماذا ناموا؟ حتى يستريحوا من مشقَّة الحرب..

ثم يستيقظوا ليواصلوا الحرب.. ومع ذلك يقول صلاح الدين:

من هنا تأتي الهزيمة !!!

فماذا لو رأى ليلنا صلاح الدين؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليلنا في صالات الديسكو وحفلات الرقص والغناء.. وأحضان العاهرات والمومسات.. ومع كؤوس الخمر والمخدرات، ثم تصرخ الأمة بأعلى صوتها: لماذا لا ننتصر؟ متى نصر الله؟

فعجبًا وربي.. كيف تطلب الأمة النصر من الله وتبارزه بالعصيان ليل نهار؟

تذكر معي ماذا حدث للمسلمين في أُحد؟ ولماذا؟

لقد ضاع منهم النصر، بسبب معصيةٍ وقعت.. عندما خالفوا أمر النبي..

وانتبه معي أنَّ قائدهم هو رسول الله!..

إن الأمة ستنتصر.. ولكن متى؟؟

عندما تمتلك جندًا.. الموت أحب إليهم من الحياة، عندما يصيح جندها في أرض المعركة:

«موتوا على ما مات عليه رسول الله!»..

إن الأمة ستنتصر.. ولكن متى؟ عندما تمتلك الأمة جندًا (كخالد بن الوليد)..

ماذا يقول خالد للروم.. عندما تحصنوا بالحصون؟

«أيها الروم، انزلوا إلينا، فوالله لو كنتم معلقين بالسحاب لرفَعَنا الله إليكم، أو لأنزلكم إلينا!».

وهل سمعت ماذا يقول (عقبة بن نافع)؟

لقد وقف بفرسه على شاطئ الأطلنطي يقول:

«والله يا بحر لو أعلم أن وراءك أرضًا تُفْتح في سبيل الله؛ لخضتك بفرسي هذا!».

إن الأمة ستنتصر.. ولكن متى؟ عندما تتذلل لربها.. وتتمرغ على أعتابه..

فهذا صلاح الدين إذا سمع أنَّ العدو قد داهم المسلمين خرَّ إلى الأرض ساجدًا لله..

يتذلل إلى ربه قائلًا:

«اللهم قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك .. ولم يبق إلا الإخلادُ إليك.. والاعتصامُ بحبلك.. والاعتمادُ على فضلك.. أنت حسبي ونعم الوكيل!».

وتنهال دموعه على شيبته.. فتبتل سجادته.. ويختلط كلامه فلا يُفهم من كثرة البكاء، فلا يكاد يمر يومه حتى تأتيه بشائر النصر..

وماذا فعل قطز في عين جالوت؟

كان يصيح بأعلى صوته:

«وا إسلاماه.. وا إسلاماه!»

ثم يخر ساجدًا لربه قائلًا:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«اللهم انصر عبدك قطز».

وهذا الأمير (ألب أرسلان).. يرى كثرة جيش الروم؛ فيصلي ويبكي بكاءً شديدًا.. فيبكي الناس لبكائه.. ودعا الله فدعا الناس بدعائه، وعفَّر وجهه بالتراب ثمَّ ركب وقال للناس:

«ليس عليكم الآن أمير وكلكم أمير نفسه.. من شاء أن ينصرف فليعد إلى أهله!».

ولبس البياض وتحنَّط، وحمل بجيشه حملةً صادقة، فوقعوا في وسط العدو يقتلون ما يشاؤون.. حتى كتب الله لهم النصر!.

وأما عن (محمد الفاتح)، عند فتح القسطنطينية فكان هتافهم:

«يا الله.. يا الله!».

فلما نصرهم الله.. أسرعوا إليه يهنئونه.. فإذ هو يمرِّغ وجهه في التراب قائلًا:

«النصر من عند الله.. النصر من عند الله!».

لقد عرف أجدادنا الفاتحين من أين يأتي النصر؟

فهلا تتبعنا خطاهم.. حتى نصل إلى العز والتمكين؟!.

***

أيها الحبيب.. لقد أوشكت الرحلة على الانتهاء..

ولعلك تقول في نفسك.. أي رحلة هذه التي تعنيها؟

إنها رحلتنا مع هذا الكتاب، التي بدأناها سويًا..

فواأسفاه على فراقك!

فإن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنَّا على فراقك (عزيزي القارئ) لمحزونون!

ولكن عزائي الوحيد أن تكون قد تعلمت أن تصرخ في وجه الباطل..

عزائي أن تصبح صادعًا بالحق.. فهل أحببت الحق ونصرته؟

هل تاقت نفسك إلى الجرأة في الحق؟

إن الصدع بالحق يحتاج إلى جرأةٍ وشجاعة، ولا تخشَ في الله لومة لائم، ولا تهابنَّ أحدًا لمكانته أو سلطانه، فليس من سلطانٍ أقوى من سلطان الله، فالله سبحانه لا غالب له، فمن كان معه الله فمن يغلبه أو يناله بسوء؟

فإن كان الله مع العبد فمن يخاف؟ وإن لم يكن معه فمن يرجو؟ وبمن يثق؟

واعلم، أنك ما دمت مع الله.. لا يضرك حقد الحاقدين.. ولا كيد الكائدين.. ولو كادتك السموات والأرض.

قال رسول الله:

«لا يَنبغِي لامرئ شهدَ مقامًا فيه حقٌ إلا تكلَّم به، فإنَّه لن يقدِّم أجلَه، ولم يحرمْه رزقًا هُوَ لَه».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال رسول الله ﷺ:

«سيِّدُ الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجلٌ قام إلى سلطانٍ ظالم فأمره ونهاه، فقتله».

إن الذي وقف صادعًا بالحق.. أمام سلطانٍ جائر.. سيد الشهداء عند الله.. أما الذي يخذل الحق في موطنٍ يحتاج الحق فيه إلى نصرته.. فذاك هو الشيطان الأخرس.

فالشيطان الأخرس هو الذي لا يأمر بمعروفٍ ولا ينهى عن منكر؛ مع قدرته واستطاعته لذلك.. يرى الفواحش والمنكرات، والمعاصي والآثام، ولا يتمعَّر وجهه غضبًا لله!..

لم يقتدِ بالنبي -ﷺ- **الذي كان يغضب إذا انْتُهِكت محارم الله، ويُعْرف ذلك في وجهه من شدَّة الغضب**..

فعجبًا لهذا الذي يرى ربه يُعصى، ويمر كأن الأمر لا يعنيه!

قال (ابن القيم) عن هذا الصنف من الناس : « وأي دينٍ وأي خير في من يرى محارم الله تُنتهك وحدوده تُضاع، ودينه يُترك، وسنة رسول الله يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطانٌ أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء ، الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟».

والعجب كل العجب لهؤلاء، فلو نُوزع أحدهم في ماله أو جاهه أو سلطانه..

جاهد أشد المجاهدة، وأنكر أشد الإنكار، ودافع بيده وبلسانه وبقلبه، فهل أمر الدين أهون عليه من ماله وسلطانه؟!

أم أن قلبه قد مات فأصبح لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا!.

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تكن مثل جحا!

قالوا لجحا:

-لقد أشعلت النار يا جحا!

ردَّ:

-لا يعنيني ما دامت ليست في قريتي!

ـ بل هي في قريتك!

- لا يعنيني ما دامت ليست في حارتي!

ـ بل هي في حارتك!

ـ لا يعنيني ما دامت ليست في بيتي!

ـ بل هي في بيتك!

- لا يعنيني ما دامت ليست في ملابسي!

بل هي في ملابسك.. وستحرقك وتحرق الجميع، فإن كنت مثل جحا، فدع النار تحرقك وتحرق كل مَن حولك، فبئس هذا الفكر السقيم.

إياك أن تظن أن هذا الشاب الذي أدمن المخدرات، لن يستدرج ولدك يومًا ما، فيكون مدمنًا مثله، أو لربما كنت أنت الضحية.. فسارع بالنصح والإنكار..

أو أن هذه المتبرجة لن تستدرج ابنتك يومًا ما، فتصير عاريةً مثلها، ولربما كانت أختك أو زوجتك الضحية، فسارع بالنصح والإنكار.

أيها المسلم، لا تسكت على منكر تراه.. وانصح لأهل المعاصي كل من تراه.. فكن أنت نذير قومك من الهلاك.. وإياك ثم إياك أن تحتقر كلمة خير تقولها.. أو نصيحة تُسديها..

فكلمتك لها وزنٌ ثقيل.. تعمل في المنكرات عمل النار في الهشيم..

فلربما كانت النجاة على يديك، قال تعالى:

(قَالَت نَمْلَةٌ)

لاحظ أنها نكرة، ليست بقائدٍ ولا ملكة.. إنها من عوام النمل..

فهذه نملة.. أنقذ الله بها أمة.. هل وقفت مكتوفة الأيادي حينما رأت الخطر؟

أو قالت «إنَّ كلمتي حقيرة ليس لها أثر.. بل صاحت في عجل: **(يَا أَيُّها النَّملُ)**

فنَبَهت الغافل وأيقظت النائم وأرشدت الضال.. ولم تكتفِ بالكلام، بل دلتهم على طريق الخلاص: **(ادخُلُوا مَسَاكِنَكُم)**

فهل عجزتَ أن تكون مثل نملة؟!! فإنه والله.. الخذلان المبين!

فيا عبدالله، لا يكن الهدهد أغْيَرَ منك على التوحيد، إنَّ الهدهد لمَّا رأى الله يُعصى ويُعْبَد غيره..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رأى قوم سبأ (**يَسْجُدُونَ لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللهِ**).

فطار بخبرهم إلى سليمان عليه السلام..

فكانت هدايتهم على يديه.. فَخلَّد الله ذكره في قرآنه..

أتعجز أن تكون مثل الهدهد؟! استعن بالله ولا تعجز.

***

لا تكن كأبي البسام

تولى الأمير (الحكم بن هشام الداخل) الحُكم.. مالَ إلى أهل الفسق.. واقترفَ الكبائر والمنكرات.. فتحرَّك الفقهاء وأرادوا الخروج عليه؛ لكن خروجهم باء بالفشل.. فحصل ما حصل للفقهاء.. من قتلٍ وتعذيب.. وشاء الله لبعضهم النجاة.. فهرب منهم من هرب.

فكان من بين الهاربين الإمام الفقيه (طالوت بن عبد الجبار)، هرب من بطش الأمير..

فأين كان يختفي؟ كان يختفي عند جارٍ له يهودي.. مدة عامٍ كامل.. فماذا صنع اليهودي معه في هذه الفترة؟

كان في كل يوم.. يقوم بخدمته.. ويُكرمه أشد الكرم؛ لكن طالوت ضاق صدره، وطالت عليه المدة، وخاف أن يمَله اليهودي.. فقرر الظهور!

ولكن كيف.. فإن الأمير يطلبه؟

تذكر طالوت أحد وزراء الأمير.. كان تلميذًا عنده.. فقرر أن يذهب إليه.. ليشفع له عند الأمير، طالوت استدعى اليهودي.. وشكره على إحسانه إليه.. وقال له:

-قد عزمتُ غدًا على الخروج.. وسأذهب إلى الوزير (أبي البسام).. فقد قرأ عليَّ القرآن.. وعلمته العلم، ولي عليه حق التعليم.. وحق العشرة، وله جاهٌ عند الأمير فعسى أن يشفع لي عنده فيؤمّنني ويتركني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال اليهودي لطالوت:

-يا مولاي لا تفعل.. إني أخاف عليك من بطش الأمير.

وجعل اليهوديُّ يحلف لهُ بكلِّ يمينٍ ويقول له:

-لو جلستَ عندي بقية عمرك ما مللت منك.

لكن طالوت عزم على الذهاب للوزير..

خرج طالوت ليلًا في الخفاء.. وصل إلى باب الوزير أبي البسام..

أستأذن فأذن له بالدخول، واستقبله بالترحاب..

قال أبو البسام لطالوت:

- أين كنت في هذه المدة؟

فقص طالوت قصته مع اليهودي..

قال طالوت لأبي البسام:

- اشفع لي عند الأمير حتى يؤمنني.

فوعده الوزير أبو البسام بذلك.. ثم خرج الوزير من فوره إلى الأمير، قال الوزير أبو البسام للأمير:

-لقد جئتك بهدية، جئتك بطالوت رأس المنافقين.. قد ظفرت به!.

قال الأمير:

- قم فعجّل لنا به.

جاؤوا بطالوت عند الأمير.. كاد وجه الأمير أن يشتعل نارًا من شدة غيظه على طالوت، نظر إليه قائلًا:

- طالوت؟.. الحمد الله الذي أظفرني بك! .. ويْحك والله لأقتلنك شرَّ قتلة.. كيف استبحت حرمتي؟!

فقال طالوت للأمير:

-ما أجد لي في هذا الوقت مقالًا إلا أن أقول لك: والله ما أبغضتك إلا لله وحده.. حين وجدتك انحرفت عن الحق.. وما فعلتُ معك إلا ما أمرني الله به.

فأسكن الله غيظ الأمير ثم قال:

-يا طالوت، والله لقد أحضرتك وما في الدنيا عذابٌ إلا وقد أعددته لك، وقد حِيْل بيني وبينك، فأنا أُخبرك أن الذي أبغضتني له.. قد صرفني عنك.. اذهب قد عفوت عنك!.

ثم قال الأمير لطالوت:

- أين كنت تختبئ؟

فَقَصَّ عليه طالوت خبر اليهودي.. فأطرق الأمير رأسه.. ثم نادى على الوزير أبي البسام..

فقال الأمير لأبي البسام:

-يا لك من رجل سوء.. قاتلك الله أيها المشؤوم.. أكرمه يهودي من أعداء الملّة.. وسترَ عليه لمكانة العلم والدين، وخاطرَ بنفسه من أجله، وغدرت به أنت يا صاحب الدين حين قصدك!..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيها المشؤوم ألا أديت له حق تعليمه لك؟ ألم تعلم أنه من خيار أهلِ ملّتك.. وأردتَ أن تزيدنا فيما نحن قائمون عليه من سوء الانتقام؟ اخرجَ عني، قبّحك الله! لا أرانا الله في القيامة وجهك.. هذا إن رأينا لك وجهًا.. ولا أريد أن أراك بعد اليوم..

ثم طرده من الوزارة وضيّق أرزاقه...

مرت سنواتٌ وسنوات، فرأى الناس هذا الوزير في فاقةٍ وذُلٍّ.. فقيل له:

-ما بك وما الذى أصابك؟

قال:

-استُجيبت فيَّ دعوة الفقيه طالوت.

حبيبي.. لاتكن كأبي البسام.. ناداه الحق.. فقابله بالخذلان.

***

[تمَّ بحمد الله].

الفهرس

مقدمة ٧
الأذان والجَبَان ١١
جُند الله ١٤
صرخةٌ في وجه الباطل ١٥
الحَجَّاج ١٧
الصلاة .. الصلاة ١٩
يا أفسق الفاسقين! ٢٣
ويحك يا حجاج! ٢٨
أنت مقتولٌ ٣١
على فراش الموت ٣٤
نبيٌ بلا نبوة! ٣٩
أيها الأجير ٤٦
كيف أنت يا هشام؟ ٤٩
أعوان الظَّلَمَة ٥٣
عِظْنِي يا غلام ٥٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بناتٌ عُريانات ٦١
أيهما أكرم على الله؟! ٦٥
أعرفك حق المعرفة ٧٣
يتخطى القتلى ٨٦
الخوف من الله ٩١
هاربٌ من القضاء ٩٩
أعيانا فِرارًا ١٠٣
لا أطأ مالا أملك ولا تملك ١٠٤
أتريد أن أكون مثلك؟ ١٠٦
لا تخدعني ١١٤
محاكمة الأمير ١١٩
شريح القاضي ١٢٤
رُبَّ ضارةٍ نافعة ١٢٧
سلطان العلماء ١٢٩
المزاد العلني ١٣٥
رأيته كالقِطِّ ١٣٩
ما ذنب البخاري؟! ١٤٣

لا تكن مثل جحا! ١٥٤
لا تكن كأبي البسام..... ١٥٧
الفهرس ١٦١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دار البشير للثقافة والعلوم

شبكة الألوكة - قسم الكتب